شيتشيرو فوكازاوا

ناراياما

رواية يابانية

ترجمة: محمد علي اليوسفي




أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية


اهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

نارايانا

* الطبعة العربية الأولى ١٩٨٢

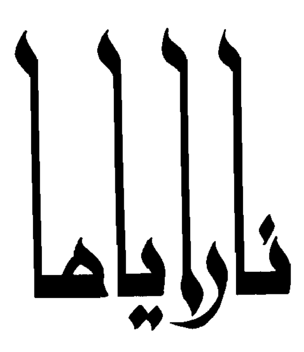
* الناشر :
دار التنوير للطباعة والنشر . ص . ب ٦٤٩٩ - ١١٣
بيروت - لبنان . الصنوبرة - أول نزلة اللّبان - بناية عساف .

دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر . ص . ب ٥٨٠٣ - ١١٣
بيروت - لبنان . هاتف ٣٤٥٥٧١ تلكس : دِلتا ٢٠٦٣٩ .

* التنفيذ الفني : دار المثلث ش . م . م .



شيتشيرو فوكازاوا






ترجمة: محمد علي اليوسفي

يضم هذا الكتاب الترجمة الكاملة للنص الفرنسي :

SHICHIRO FUKAZAWA

Etude à propos des chansons de Narayama.

تقديم

ولد فوكازاوا في إيزاواماشـــي وهي منطقة جبلية في وسط اليابان جمعت بين قسوة أرضها وعزلة سكانها بعيـداً عن التأثيرات الخارجية. ولم يدرس أكثر من المرحلة الإعدادية لكنه شغف بالأدب وقرأ العديد من المؤلفات وخصوصاً روايات «تانيزاكي جونو تشيرو» الذي يعتبره فوكازاوا أستاذاً له. لكن معلميه الحقيقيين هم الفلاحون الذين عاش مابينهم والجبل الذي ولد فيه وأخيراً الموسيقى التي تعلق بها باكراً وطبعت إيقاعاتها كتاباته النثرية.

لذلك درس الموسيقى وشارك في فـرقة مسـرح المنوعـات في طوكيو. لكن مجرى حياته تغيرّ فجأة إثر كتابته لـ«نارایاما بوشيكو» (دراسة في أغاني ناراياما). فاهتمت بها مجلة «تشوو كورن» ونشرتها ثم منحته عام ١٩٥٦ جائزتها السنوية «جائزة الإنسان الجـديد» وكـان عندئذ قد بلغ الثانية والأربعين من عمره، فذاعت شهرته بسرعة. وانقسم النقاد إلى منددين بقسوة روايته وفظاظتها الصريحة، ومدافعين عن إنسانيتها العميقة وشاعريتها الغريبة التي تبـدو مقبلة من غابـر السنين، ونسيجها الموسيقي المتأتي من مخزون شعبي عريق. وكان من الذين اهتموا بها الناقد «ماسامون هاكوتشو» والروائي ميشيما يوكيو...

وفي عام ١٩٦٩ نشر فوكازاوا «أمراء طوكيو». لكنّه قبل ذلك وفي ١٩٦٠ تحديداً نشر قصة حلم، يصف فيها هجوماً خيالياً على القصر الإمبراطوري فهزّت القضية قطاعات من الرأي العام. ورغم تأكيد الكاتب بأنه لم يقصد أي هدف سياسي فقد استثيرت جماعات

متطرفة وتسببت في عدّة أحداث مأساوية الأمر الذي دفع فوكازاوا إلى الهرب والإختفاء عدّة أعوام. فعاد إلى أوساط الفلاحين واهتم بالزراعة وتربية الحيوانات، دون أن يكفّ عن الكتابة. ونشر عدّة كتب وروايات منها «أغاني الهَدْهَدْة في مقاطعة كاي» عام ١٩٦٥ ومجموعة محاورات عام ١٩٧٣، حتىّ أقعده المرض عن الكتابة. . .

* *

تأتي أحداث «نارایاما» على شكل مجموعة من الأغاني، يوهمنا الكاتب بأنه لم يقم سوى بجمعها من أجل إعادة منهجية لمجتمع كامل، عبر الإيحاءات التي تتضمنها تلك الأغاني، وهذا ما يفسّر العنوان الأصلي الذي حاول أن يكون علمياً: دراسة في أغاني نارایاما.

تدور أحداث القصة في مجتمع مغلق تبخل عليه الأرض بالقوت فيلجأ إلى سنّ قوانينه وأخلاقه الخاصة والملائمة لندرة الغذاء. فيبدو المبدأ الأخلاقي قاسياً بل متوحشاً للوهلة الأولى، لكنه يتضمّن أعلى مراتب الفضيلة إلى جانب البشاعة. وتلوح فكرة البوذية الأساسية وهي عقيدة «الكارمان» التي تقول بأن «الأفعال تتبع صاحبها وتصنعه» في مصير شخصيات «نارایاما» وخصوصاً مصير ماتا-يان وأُو رِنْ: الأول، بأنانيته، والثانية، بتفانيها وإنكار ذاتها. الأول، تلتهمه الطيور السوداء، والثانية، تغطيها الثلوج مثل زهرة لوتس بيضاء في أرض نارایاما المقدسة.[1]

---

(١) اعتمدنا في هذه المقدمة أساساً على المعلومات التي أوردها المترجم الفرنسي، برنار فرانك، عن اللغة اليابانية، وكذلك الشأن بالنسبة لبعض الهوامش في الكتاب. (المترجم).

جبال تليها جبال. وحيثما ذهب المرء لايجد سوى الجبال. وفي وسط جبال شينشو[1] تلك، على تخوم قرية موكو-مورا (القرية المقابلة) يوجد بيت أُو رِنْ. وأمام البيت كانت توجد أرومة كياكي[2] ناعمة السطح مثل لوح. فكان الأطفال وعابرو السبيل يقعدون عليها: هي لهم بمثابة كنز. لذلك يطلق سكان القرية على بيت أُو رن اسم «الأرومة». حلّت أو رن في هذا البيت كَنّةً، منذ أكثر من خمسين سنة.

في هذه القرية، يُطلق على القرية التي وُلدت فيها أو رن اسم «القرية المقابلة». ونظراً لكون كلتا القريتين ليس لهما اسم، فان الاسمين المتعارف عليهما من الجهتين هما «القرية المقابلة». ورغم أن القوم يقولون (القرية المقابلة) فإنّ ثمة جبلاً ينبغي اجتيازه قبل بلوغ القرية الثانية. بلغت أو رن في هذا العام تسعاً وستين سنة من العمر، لكن زوجها مات منذ أكثر من عشرين عاماً. أمّا زوجة ابنها الوحيد تابي فقد ماتت بدورها في العام الماضي عندما ذهبت لجمع الكستناء فهوت في أحد المنحدرات وقُتلتْ. وما يزيد في وجع رأس أو رن، فضلاً عن اعتنائها بأحفادها الأربعة الذين ظلوا أحياء، إنّما هو البحث عن زوجة ثانية لابنها تابي الذي ترمّل. والحال انه لاتوجد أرملة ملائمة في هذه القرية، ولا في القرية المقابلة.

في هذا اليوم سمعت أو رن صوتين كانت تنتظرهما. الأول يتعلق بأغنية العيد التي رددها شخص كان يذهب في الصباح إلى الجبل الذي وراء القرية:

---

(١) مقاطعة جبلية في وسط اليابان.

(٢) أشجار من فصيلة الدردار.

عندما عيد نارایاما لثلاث مرات يجيء
من ثمار الكستناء التي سقطت تبرز الأزهار

إنها أغنية رقصة آلْـ «بون»[1] في القرية وقد تساءلت أو رن عمّا إذا كان سيغنيها أحدهم قريباً. ففي هذا العام لم يغنّها أحد بعد؛ لذلك قلقت أو رن. وهذه الأغنية تقول، عندما تمر ثلاث سنوات يكبر المرء ثلاثة أعوام ، ولّما كان بلوغ المرء في القرية سبعين عاماً يتطلب منه الحج إلى نارایاما[2] فالأغنية تعلن للمسنّين أن ذلك الزمن يقترب.

أرهفت أو رن سمعها باتجاه الجهة التي انطلقت منها الأغنية. نظرت خلسة إلى وجه تابي الذي كان يوجد بجانبها: لقد كان تابي ينصت بدوره رافعاً ذقنه وكأنه يلاحق صوت المغني. لكنها لاحظت بريقاً يلمع في عينيه، ففكرت: «سوف يذهب تابي مع أو رن إلى حجّ نارایاما.» وحسب تعبير نظره، لامجال للشك، إنه مشغول بذلك، هو الآخر.

«ابني طريف وطيب!»

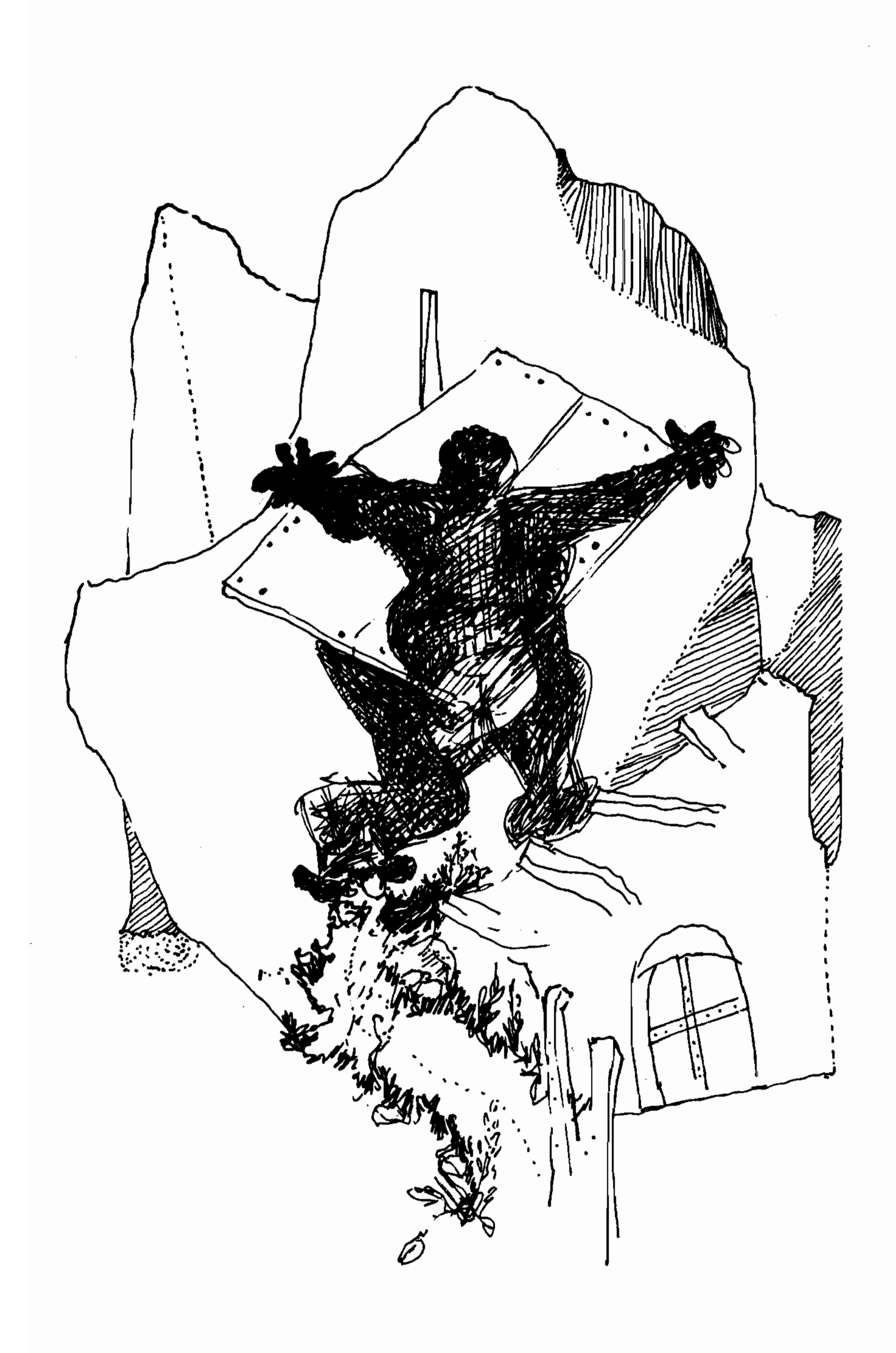
وانقبض صدرها.

أما الصوت الثاني الذي انتظرته أو رن، فهو يتعلق بناقل بريد، جاء من قبل أهلها ليعلن أن امرأة قد ترملت في القرية المقابلة. ولهذه الأرملة خمس وأربعون سنة، العمر نفسه الذي لتابي. لقد دُفن زوجها منذ ثلاثة أيام، كما يبدو. وما دام العمر مناسباً فـإنّ القضية تُعدّ منتهية. جاء ناقل البريد ليعلن أن امرأة ترمّلت، ثم عاد بعد أن تم تحديد اليوم الذي ينبغي أن تأتي فيه ككنّة. كان تابي غائباً حينها في الجبل. ولايمكن القول إن أو رن قد اتّخذت القرار بمفردها: لنقل

---

(١) عيد الموتى البوذي، يحتفل به خلال الشهر السابع من السنة القمرية، وتقام فيه رقصة ليلية ترافقها أغان يطلق عليها إسم: بون-أودوري.

(٢) نارایاما تعني حرفيا «جبل السنديان».





بالأحرى إن الأشياء تقرّرت بمجرّد سماعها كلمات ناقل البريد. يكفي أن تطرح المسألة على تابي عندما يعود، وهكذا تكون الأمـور على مايرام. إذْ أن مسائل الزواج عند بعض العائلات تحُـلّ ببساطـة. والـذين يتبادلـون الإعجاب يختـارون أنفسهم بعد حـوار حرّ بينهم ولايـوجد أيّ حـدث خاص من نـوع حفل الـزواج: تكتفي المعنيّة بالذهاب للسكن في البيت المقصود، وهذا كلّ شيء. ويلجأ البعض إلى وسيط أحياناً، لكنْ متى ما تناسبت الأعمار، انتهت القضية؛ تزور المعنيّة البيت المقصود ثم تقيم فيه نهائياً، وتنتهي، دون تحديد الفترة، إلى أن تصير من أفراد العائلة. يوجد «البون» والعام الجديد، ولكن نظراً لعدم وجود مكان تسلية، فإنّ التسلية الوحيدة هي عدم الذهاب إلى العمل، وهذا كل شيء. أمّا تجهيز طعام شهيّ فلا يتمّ إلّا في عيد نارایاما، ويتم كل ما تبقّى باختصار.

نظرت أُو رن طويلا نحو الجهة التي عاد إليها ناقل البريد. لقد قال إنه مبعوث من قبل أهلها، لكنها فكرت بأن من شأنه أن يكون أحد أقارب المرأة التي ستأتي كنّة. لم تمر أكثر من ثلاثة أيام على موت زوجها، وهذه الطريقة في التسرّع والرغبـــة في إنهاء القضيّة قريباً تبدو وكأنها تدل على تلهف الأرملة للزواج من جديد. «وهو بالنسبة لنا، أيضاً، أمر مناسب جدّاً». حدّثت نفسها.

وما دامت أو رن ستبلغ السبعين عاماً في السنة المقبلة وهو سن الحج إلى نارایاما، فقد عيل صبرها وهي تتساءل عمّا يمكن فعله إذا لم تترمّل أية إمرأة حتىّ ذلك الوقت. لكنْ ها قد ترمّلت إحداهنّ. وهي ملائمة من حيث عمرها. وبعد قليل سوف تأتي الأرملة من القرية المقابلة برفقة أبيها أو غيره. تنفّست أُو رن الصعداء لهذه الفكرة، كما لو أُنزل حمل ثقيل من على كتفيها. وهكذا حلّت أصعب مشكلة، وليس لأنّ أرملة ستأتي من القرية المقابلة فقط، بل لأنّ امرأة ستأتي بكل بساطة. فقد حلّت أصعب مشكلة. أمّا بخصوص الأحفاد فهم

ثلاثة صبيان، أكبرهم كيزاكيتشي، وله من العمر ستة عشر عاماً، وأصغرهم صبيّة لم تبلغ بعد ثلاثة أعوام. ومنذ زمن بدأ تابي يتخلى عن فكرة الزواج بدوره، لعدم وجود أية أرملة. فأمسى شارد الذهن. حتى أن الجميع، فضلاً عن أو رن، في القرية لاحظوا فقدانه للحيوية تجاه كل شيء. أمّا الآن فانه سوف يستعيد بشاشته! لقد تملكت الحميّة أو رن نفسها.

في المساء، عندما عاد تابي من الجبل وجلس على سطح الأرومة، صاحت به أو رن من الخلف وهي داخل البيت ــ وكأنها رشّتْه بالماء:

ــ هاي! ستأتي أرملة من القرية المقابلة! لم تترمل إلا قبل البارحة، لكن ما إن يمرّ اليوم التاسع والأربعون، يقولون بأنها ستأتي.

وعندما روت له أو رن بأن الأرملة قد وُجدتْ، امتلأت كبرياء كما لو تعلق الأمر بالإعلان عن عمل باهر.

ــ هذا ممكن ... من القرية المقابلة ... إيه... ما عمرها؟

قفزت أو رن إلى جانب تابي.

ــ اسمها تاما ـ يان[1]. عمرها خمسة وأربعون عاماً مثلك.

علّق تابي ضاحكاً:

ــ في هذا الوقت، يعد الأمر مناسباً جدّاً... ها، ها، ها!

هل كان تابي منزعجاً قليلا؟ لاتبدو فرحته مساوية لفرحة أو رن. هل تساوره فكرة أخرى غير الحصول على إمرأة ثانية؟ تساءلت العجوز عن ذلك أيضاً بحاسة شمّها القديمة، لكنها أحست بالسعادة كما في حلم.

---

(١) يستعمل اللقب العائلي، في اللغة اليابانية، قبل الإسم الشخصي.

في نارايام يقيم إله. وكلّ الذين ذهبوا إلى نارايام شاهدوا الإله. ولذلك لايشك في الأمر أحد. وما داموا يقولون بوجود الإله حقا، فقد كانوا يقيمون له عيداً ويعتنون به أكثر من الإحتفالات الأخرى. حتىّ لم يبق منها سوى عيد نارايام، وفضلاً عن ذلك كان عيد نارايام يصادف «البون» دائمًا حتىّ أن أغنية رقصة البون امتزجت بأغنية عيد نارايام.

يمتد البون من اليوم الثالث عشر إلى اليوم السابع عشر من التقويم القمري، وعيد نارايام يكون ليلة البون؛ أي ليلة اليوم الثاني عشر من الشهر السابع. وفي هذا العيد، بالإضافة إلى محاصيل بداية الخريف، الكستناء البرّي، العنب البرّي، ثمار الشيئي والكايا[1]، والفطر الطازج المخمّر [الذي يستهلك في هذه المناسبة] يطبخ القوم الرّزّ وهو أندر الأشياء على الإطلاق؛ وبعد تقطير «الدوبوروكو[2]»، يستمتعون طيلة الليل. ويُطلق على الرزّ اسم «السيد الحاغي الأبيض»[3]. وهو يزرع في هذه القرية الفقيرة لكن المحصول لم يكن كبيراً. ونظرا لعدم وجود سهول في هذه الأرض الجبلية فإنّ الغذاء اليومي يتكوّن من ذرة بيضاء ـ «آوا» أوْ «هاي» ـ وذرة صفراء ومحاصيل أخرى تُجْنى بكثرة. أمّا الرزّ فلا يُؤكل إلا في عيد نارايام أو في حالة مرض عضال.

تقول أغنية رقصة البون:

---

(١) اسمان لنوعين برّيينْ من الأشجار المنتشرة كثيراً في اليابان.

(٢) الدوبوروكو: هو نبيذ الأرزّ قبل تنقيته وتصفيته. ووجود حبوب الأرزّ فيه تجعله قريباً من عصيدة ذات كحول.

(٣) الحاغي أو الحاجي (بجيم مصرية) نبتة جميلة تزهر في الخريف وأوراقها الوردية اللون، قريبة من شكل حبوب الرز. وهذا ما يفسر تسمية الرزّ «الحاجي الأبيض». إذ أن الأرزّ، الغذاء الأساسي يكتسب طابعاً إلهياً في اليابان ولقب «السيد» دليل على التبجيل.

أيُّ خُبْثٍ في صنيع أبي
إذا ظلّ مريضاً ثلاثة أيام نطبخ رُزّاً.

إنها أغنية تحذّر من البذخ. وتعني: إن الأب عندنا يأكل أرزاً حالما يصاب بمرض بسيط، ولهذا السبب نسخر منه كما نسخر من داعر أو من أحمق. وكانت هذه الأغنية تستخدم أيضاً في حالات مختلفة كمَثَل: إذْ عندما يكون الطفل كسولاً، يغنيّ له أهله أو إخوته:

أي خُبْثٍ في صنيع أخي
إذا ظل مريضاً ثلاثة أيام نطبخ رزّاً.

وتُستخدم بمثابة توبيخ: لقد تعـوّد على المتعـة، وأي شخص طريف يرفض تحمل الجهد إلى هذا الحدّ، ألا يكون قادراً على القول: «إنه يريد أكل السيد الحاجي الأبيض، فاطبخوا لي»؟

وتُغنىّ أيضاً عندما لايطيـع الأطفال أوامـر والديهم أو عنـدما يتجرأون على إسداء الرأي لأهلهم.

وفيما يتعلق بأغاني عيد نارایاما، فإن الأغنية التي تقول:

من ثمار الكستناء التي سقطت تبرز الأزهار

هي الأغنية الوحيدة، لكن سكان القرية حوّروها بمقاطع ساخرة من اللحن نفسه، حتى صارت توجد أنواع مختلفة من الأغاني.

ولّما كان بيت أُو رن على حدود القرية، فقد أمْسى طريق عبور نحو الجبل الذي وراء القرية. وبعد شهر يحلّ عيد نارایاما. إذنْ فقد ظهرت أغنية بدأ الجميع يرددونها حتىّ سمعتها أوْ رن.

أُو توري ـ سان في بيت الملح حظُّها سعيد
يوم ذهابها إلى الجبل سوف تثلج السماء

ولعبارة «الذهاب إلى الجبل» في القرية معنيان مختلفان تماماً. ورغم





النطق نفسه والنّبْرة نفسها فإنّ الجميع يستطيعون التمييز بين المعنيينْ. فعند الحديث عن العمل يكون الصعود إلى الجبل للإحتطاب أو لصنع الفحم، ذهاباً إلى الجبل، أمّا المعنى الثاني فهو الذهاب إلى نارایاما. وقد جرى التقليد بالقول إن المرء إذا ذهب إلى نارایاما ونزلت الثلوج فإنّ حظّه سعيد، وفي بيت الملح لم يكن يوجد أحد باسم أو توري ـ سان، لكنه شخص وجد فعلاً منذ أجيال عديدة. ونظراً لكون الثلوج نزلت يوم ذهابه إلى نارایاما، فقد ردّدت الأغاني اسمه وتناقلته الأسطورة باعتباره الشخص النموذجي صاحب الحظ السعيد. ولم يكن الثلج في هذه القرية شيئاً نادراً. إذْ عندما يحلّ الشتاء تنزل الثلوج من وقت لآخر على القرية نفسها، وعلى ذرى الجبال، فتكتسي بالثلوج البيضاء في الشتاء. أمّا بخصوص الشخص المدعو أو توري ـ سان فقد نزل الثلج عند بلوغه نارایاما. ذلك أن المرء إذا سار تحت الثلج يكون حظه سيئاً، ولكن في حالة «أو توري ـ سان» كان الأمر مثالياً. لذلك تتضمن الأغنية فضلا عن ذلك معنى آخر: إذْ يُفْهم منها أنّ الذهاب إلى الجبل لايكون في الصيف وينبغي حسب الإمكان الإلحاح على الذهاب في الشتاء. وهكذا فالقوم الذين يقصدون نارایاما من أجل الحج يختارون وقتاً يوحي بسقوط الثلج. ويتعذر الذهاب إلى الجبل متى ما تكوّمت الثلوج. ونارایاما حيث يسكن إله، هو جبل يقع في مكان بعيد ولايمكن بلوغه إلا بعد اجتياز سبعة وديان وثلاثة مستنقعات. لايمكن بلوغه إلاّ بعد السير في درب بلا ثلج، فإذا لم يبدأ الثلج بالنزول لدى وصولك، عندئذ لايمكن القول إن حظك سعيد. وهذه الأغنية تصف إذنْ تفاصيل محدودة، أيْ: إذهبْ قبل أن ينزل الثلج.

منذ زمن طويل جهّزت أو رن نفسها داخلياً كي تذهب إلى حجّ نارایاما. وكان ينبغي صُنع الساكي[1] من أجل مأدبة الرحيل،

---

(١) شراب كحولي ياباني يصنع من الأُرزّ المخمّر.

والبوريّة[٢] من أجل الجلوس لدى وصولها إلى الجبل ـ لكن تلك البورية كانت جاهزة منذ أكثر من ثلاثة أشهر. بالإضافة إلى ايجاد امرأة ثانية لتابي المترمّل، وذلك يشكل جزءاً من التّحضيرات التي كان ينبغي اتمامها. وما دام ساكي المأدبة والبورية ومسألة الكنة كلها قد انجزت، فإن ثمة شيئاً آخر يتوجب انجازه.

عندما تأكدت أو رن أنْ لا أحد ينظر، تناولت حجر النار. فتحت فمها وضربت على أسنانها الأمامية من أسفل ومن أعلى بحجر النار، طاق طاق. وكانت تفكر أنها بذلك سوف تهشم اسنانها الصّلبْة كان ألم شديد يرنّ طن ، طن ، حتى تحت جمجمتها . لكنها حدّثت نفسها بأنها اذا ما ثابرت على الضّرب، سوف تسقط بعض أسنانها ذات يوم. وعندما فكرت في سقوط بعض أسنانها، تملكها الفرح. لذلك توصلت في آخر المطاف إلى الإحساس بألم الصدمة وكأنه شعور بالسعادة.

كانت أسنان أُو رن ، فـي صحة جيدة رغم الشيخوخة. ومنذ شبابها كانت تعتزّ بأسنانها وهي أسنان من الصلابة بحيث كانت تستطيع قضم بذور الذرة الصفراء اليابسة، وحتى بعد بلوغها الشيخوخة لم تسقط لها سنٌّ واحدة، ولقد انتهى ذلك بأن أمسى يسبّب الحياء بالنسبة لأو رن. وفي حين فَقَدَ ابنُها تابي عدداً كبيراً من أسنانه، فإن أسنانها التي تصطف كاملة يمكنها الإيحاء، بأنها، فيما يتعلق بالأكل، لايمكن أن تُجارى، بل يمكنها أن تلتهم كل شيء. وفي هذه القرية التي يندر فيها الغذاء، يعدّ ذلك شيئاً مثيراً للحياء.

وعندما يقابل سكانُ القرية أو رن:

ـ هاي! أسنان كهذه، لاتوحي بأنها ستسقط أبداً! وحتى تفاح الصنوبر أو حبوب الضراط لن يتبقى منها في فمك شيء!

---

(٢) حصير منسوج من قصب.

ولايُقال ذلك على سبيل المزاح. بل من أجل السخرية، وما يسمّى «حبوب الضراط» إنما هي الحبوب «قاطعة الثلج»، وهي حبوب صلبة كالحجارة عندما يأكل منها المرء يضرط كثيراً. كذلك عندما يضرط المرء بعد أكلها، يقول: «هه، ذلك لأنيّ أكلت حبوب ضراط...» ويقصد القول بذلك أنها حبوب يابسة، سيئة، لكن اسمها المعتاد هو قاطعة الثلج أو الحبوب الصلبة. إن استخدام عبارة «حبوب الضراط» في حق أو رن التي لم تضرط طيلة حياتها أمام أيّ شخص، هو من دون شك من أجل السخرية منها. ولقد فهمت أو رن ذلك جيّداً. إذ أنها سمعت الكثيرين يقولون لها ذلك. أن تهرم، وأكثر من ذلك، أن تبلغ السنّ الذي يتوجب معه الذهاب إلى حجّ نارايام. ويسخرون منها بتلك الطريقة لأنّ أسنانها في صحة جيدة... «ولكن ذلك، بعد كل حساب، أمر مقدَّر...» كانت تفكر.

ويمازحها حفيدها كيزا كيتشي، بدوره قائلا:
ـ أظنّ أنّ لجدّتي ثلاثاً وثلاثين سنّاً.

حتىّ حفيدها يقول لها ذلك مضايقاً. عبثاً عدّت أو رن أسنانها لامسة إياها بإصبعها، عبثاً من فوق ومن تحت، ورغم ذلك لم تكن توجد سوى ثمان وعشرين.

ـ كفَّ عن حماقاتك، هيّا! لاتوجد سوى ثمان وعشرين! كانت تجيبه.

ـ هاي! لاشك أنك لاتجيدين العدّ أكثر من ثمانية وعشرين. بالتأكيد هناك أكثر!

وهكذا كان يرهقها بملاحظات مزعجة. كان كيزاكيتشي يصرّ على أن لها ثلاثاً وثلاثين سناً. وفي العام الماضي، قال في الأغنية التي أنشدها في رقصة البون:

جمعت جدتي في زاوية غرفة ضيقة
ثلاثاً وثلاثين سنّ شيطان

وقهقه الجميع متدحرجين على الأرض. كانت تلك أغنية نظمها كيزا كيتشي بتحوير أشْهر أغنية هزلية في القرية:

جمعت أُمُّنا في زاوية من الغرفة الضيقة
ثلاثاً وثلاثين شعرة من موضع خفيّ.

وهي أغنية تشتم الأمّهات. غنّاها كيزا كيتشي مستبدلاً الكلمات بـ«أسنان شيطان» وهكذا حصل على تصفيق حار. لذلك لا طعم للأغنية بالنسبة له، إذا لم تُوجد فيها ثلاث وثلاثون سنّاً. وهكذا ذهب ليروي للجميع أن لأو رن ثلاثاً وثلاثين سنّاً.

عندما جاءت أو رن إلى القرية لتتزوج، قال الجميع بأنها أجمل امرأة في القرية، وبعد موت زوجها لم يتمكن أحد من نشر شائعات مغرضة ضدها كما هو شأن بعض الأرامل الأخريات. لذلك لم تفكر بأنهم سوف يتهكمون عليها ذات يوم بسبب أسنانها. وعلى كل حال، ينبغي فتح ثغرة في تلك الأسنان بأية وسيلة كانت، قبل الذهاب إلى حج نارايااما، فكرت أو رن. عندما تذهب إلى نارايااما وتقعد على لوح معلق إلى ظهر تابي، ينبغي أن تكون عجوزاً تنقصها أسنان. ولهذا كانت تحاول كسرها ضرباً بحجر النار، خلسة، كي تتثلّم.

قرب بيت أو رن يوجد بيت آخر يدعى «بيت الفلس». وفي القرية لا حاجة لاستعمال الفلوس بأية طريقة كانت، ولاتوجد فلوس عند أية عائلة. لكن بيت الفلس، ذهب أهله ذات مرّة إلى اتشيغو[1] وأتوا معهم بفلس تامبو[2]. ومن يومها أطلق عليهم اسم «بيت

(١) اسم مقاطعة تمتدّ شمالي شينشو.
(٢) تامبو: عهد ملكي يمتد من ١٨٣٠ إلى ١٨٤٤، سُكّت فيه تلك النقود.

الفلس». ولقد بلغ رب بيت الفلس، العجوز المدعو ماتا ـ يان سبعين عاماً هذه السنة. وفضلا عن كونه جار أو رن وله العمر نفسه تقريباً، فقد كانا صديقين منذ زمن طويل. وفي حين بدأت أو رن منذ أعوام تهتم باليوم الذي ستذهب فيه إلى الجبل، فإنّ أصحاب بيت الفلس، كانوا أسْمَنَ مَنْ في القرية، ويبدو أنهم وجدوا التجهيزات الخاصة بمأدبة يوم الرحيل إلى الجبل غاليةً جداً، فلم يجهّزوا لهذا الرحيل شيئاً. ولقد سرت شائعات بأن الشيخ سيذهب قبل ربيع هذا العام، لكن ها إنّ الصيف قد أقبل. وكان من المفترض أن يذهب هذا الشتاء، لكن يُقال إنه سوف يذهب خفية على الأرجح. غير أنّ أو رن فهمته بوضوح، ذلك أن ماتا ـ يان نفسه يرزح تحت التأثيرات السيئة[1] وليس متهيِّئاً للذهاب إلى الجبل. «الأحمق!» فكّرتْ. أما هي فقد نوت الذهاب حالما يقبل العام الجديد وتبلغ السبعين.

ويوجد إلى جانب بيت الفلس بيت آخر يدعى «الصنوبرة المتكلّسة». وخلف البيت توجد صنوبرة كبيرة يابسة صار جذعها يبدو وكأنه صخرة. وكانت الصاعقة قد نزلت منذ زمن بعيد على تلك الصنوبرة الضخمة ومن يومها صارت تُدعى «الصنوبرة المتكلسة».

وإلى جانب ذلك البيت، يوجد البيت المُسمَّى «بيت المطر» فإلى الجنوب الشرقي بالنّسبة للقرية، يوجد جبل تاتسو مياما، «جبل الجنوب الشرقي». وعندما يذهب سكان ذلك البيت إلى ذلك الجبل، لابدّ أنها ستمطر، يقولون. ويؤكدون بأن فردَيْن من تلك العائلة وجَدا قديماً ثعباناً له رأسان فقتلاه. ومنذ ذلك اليوم صارت السماء تمطر كلما

---

(١) تعبير بوذي يذكّر بأن كلّ الأشياء في هذا العالم تنجم عن أعمال أُنجزت سابقاً. وبخل ماتا ـ يان المثير للرثاء ـ وهو بخل وراثي مرموز إليه بالفلس المذكور ـ هو في آن: نتيجة لأسباب سيئة، ومصدر، في المستقبل، لتأثيرات سيئة.

ذهب أحد أفراد تلك العائلة إلى تاتسومياما، ولذلك أطلق عليهم الناس اسم «بيت المطر».

وإلى جانبه أيضاً يوجد البيت الذي يُسمّى كايا نوكـي[1]، وتحتفل به الأغنية. تشمل القرية إجمالاً إثنين وعشرين بيتاً، لكن أكبر الأشجار في القرية هي تلك الكايا نوكي.

جين ـ يان الكايا نوكي امرأة عاهرة
بعد الإبن والحفيد حملت بين ذراعيها الدَّرْص[2].

في الزمن الذي جاءت فيه أو رن كنّةً، كانت عجوز اسمها جين ـ يان لاتزال على قيد الحياة. وكانت جين ـ يان بهيمة حافظت الأغنية على صيتها السيء كعاهرة. والدّرص هو ابن الحفيد وفي ذلك إشارة إلى إنجاب كثير من الأطفال مثل فأرة. وفي هذه القرية التي ينقصها الغذاء كثيراً تُعدّ رؤية الأحفاد أمراً مثيراً للسخرية، كعلامة على أن أشخاصاً قد تعاقبوا بولادات عديدة أو بكهولة مبكرة، طيلة ثلاثة أجيال. أمّا جين ـ يان فقد انجبت أطفالاً، وربّت أحفاداً وحضنت أبناء الأحفاد، لذلك لحق بها العار كامرأة لم تهب الحياة إلا لأبناء شهوانيين. أمّا المقصود بعاهرة فهو المرأة التي لاتجيد التصرّف، المرأة غير المحتشمة.

عند بلوغ الشهر السابع لايحافظ أحد على هدوئه، فالعيد لايدوم سوى يوم واحد. لكن، نظراً لكونه لا يحلّ إلا مرّة واحدة في السنة فإنّ الشعور به يبدأ منذ بداية الشهر. وينتهي العيد بأن يصير في الغداة. كان تابي يجد نفسه مشغولاً بطريقة أو بأخرى. ويتملك الحماس الجميع. ولّما كان كيزا كيتشي ــ ولا أحد يعلم إلى أين ذهب ــ لايجدي نفعاً، فقد أخذ تابي يذهب ويجيء بمفرده.

---

(١) نوع من «الطقسوس» أي أشجار الزينة.
(٢) ولد الفأرة.

وعندما كان يمرّ أمام بيت المطر، سمع في الداخل سيد البيت ينشد أغنية أسنان الشيطان:

أو رن ـ يان الأرومة في زاوية الحجرة الضيقة
جمعت ثلاثاً وثلاثين سنّ شيطان

«الدنيء!» فكّر تـابي. هذه أول مـرة يَسْمَعُ فيهـا مثل هـذه الأغنية. لقد نشرها كيزا كيتشي في السنة الماضية لكنها لم تبلغ آذان أو رن أو تابي. وها إنهم يرددونها هذه السنة مع ذكـر إسم أو رن الأرومة.

دخل تابي بسرعة إلى بيت المطر. ولّما كان سيّد البيت حينها في المدخل، فقد أقعى تابي على الأرض المطروقة:

ـ هيه إذنْ، هل تريد المجيء إلى البيت؟ هل تريد أن تعدّ كم لها من الأسنان، عجوزي؟

ولأنّ الجالس هناك هو تابي الصامت دائمًا، زامّاً شفتيه، فقد كان الأمر مهدّداً بالخطر؛ أضاع سيد بيت المطر رشده.

ـ آه، هيّا،! لم تكن نيّتي هكذا... لم أفعل سوى تقليد ما غنّاه كيزا ـ يان... يزعجني أن يذكر مثل هذا الشيء...

ولأوّل مرّة علم تابي أن كيـزا كيتشي هو الـذي أطلق هذه الأغنية. وسبق له أن سمعه يقول «أظن أنّ لجدتي ثلاثاً وثلاثين سناً» وهي عبارات بعثت فيه إحساساً مزعجاً، فأدرك الآن معناها. وحتىّ كيزاكيتشي لم يتجرأ على الغناء هكذا أمام تابي وأو رن.

قفز تابي، دون أن ينبس بكلمة، خارج بيت المطر. تناول حطبة مدوّرة وجدهـا على حـافة الـطريق، وبحث في كلّ مكـان: «هذا الكيزاكيتشي الملعون، أين تراه اندسّ؟»

كان كيزا كيتشي يغنيّ مع أربعة أطفال أو خمسة بجانب البيت الذي أمام المستنقع.

إنه عيد الجبل مرّة في العام
عصابة رأس معقودة[1] لنأكل رزّاً.

كانت الصنوبريّات تقف مثل سياج، فلا يتمكّن المرء من تمييز أي شيء ولكن تابي سمع صوت كيزا كيتشي مع الأطفال.
رفع الحطبة:
ـ كيزا! هل أسنان جدتك مثل أسنان شيطان؟ آه، أنت...! بعد أن دلّلتك وربّتْك كما أنت... آه، أنت! أنت!...

وَثَبَ تابي فسقطت منه قطعة الحطب. لكن كيزا كيتشي التفت بغتة، فسقط تابي على حجر. ولأنه اندفع بقوّة، فقد تخدّرت يده إلى حد الشعور بالألم.
وأخذ كيزا كيتشي الذي هرب مبتعداً قليلاً ينظر إليه ببرود.
التفت تابي نحوه:
ـ أيها الحقير! لن أعطيك ما تأكل! صاح به غاضباً.

إن عبارت مثل «لن أعطيك ما تأكل» أو «لاتأكل!» هي عبارات مستخدمة كثيراً. وتوجد عقوبة تتمثل فعلاً في منع الطعام، لكنها كلمات تستخدم أيضاً كشتائم.

حانت ساعة العشاء. وعندما جلس الجميع حول المائدة، دخل كيزا كيتشي وجلس إلى المائدة مع الآخرين. وألقى بنظرة على تابي فلم يلاحظ أيّ أثر من غضبه السابق، كان يبدو مكتئباً. كان تابي غير راغب في إثارة أغنية أسنان الشيطان أمام أو رن. ويريد الحؤول

---

(١) أثناء العمل، يحمل العمال والفلاحون اليابانيون غالباً، منديلاً معقوداً بشكل حلزوني حول الرأس، وهو يدلّ على الشروع في العمل، مثل التشمير عن الذراعين.



دون أن تسمعها. وتمنىّ في داخله أن لايثير كيزاكيتشي المشكلة.

أمّا كيزا كيتشي، بدوره، داخلياً:

«كم تملكه الغضب، بسبب القصة المتعلقة بأغنية الشيطان! لماذا تراه بلغ تلك الدرجة من الهيجان؟ هل الأمر يزعجه إلى ذلك الحدّ؟ إذن في المرّة المقبلة عندما تكون لي أغنية سوف أغنيّها له، وأكثر من مرّة أيضاً!»

عندما فكّر في ذلك إزدادت جرأته وحيويته. أبوه سيتزوّج امرأة ثانية بعد قليل، وينبغي أن يعرف بأن كيزا كيتشي يعارض ذلك في أعماقه.

وفي هذه الأثناء، تزوّد الجميع بالأكل وشرعوا يأكلون. و«الأكل» مجرّد طريقة في التعبير: لّما كان الأمر يتعلق بكريات ذُرة وخضار مغمّسة في سائل، فإنهم لم يكونوا يأكلون، بل يتمصّصون.

كانت أُو رن تفكّر في شيء آخر مغاير تماماً.

ــ مازال الوقت مبكّراً على مجيء الكنّة من القرية المقابلة، لكنها ربمّا جاءت بسبب العيد.

كانت أُو رن تحدس بمجيئها. وفكرت بأنها ربمّا جاءت اليوم، لكنها لم تأت. ربما جاءت غداً. رأت أو رن أن تخبر الجميع بذلك.

ــ غداً ربما جاءت الماما من القرية المقابلة.

أعلنت ذلك لأحفادها وكأنها تزفّ لهم خبراً سارّاً.

تابي:

ــ لم يمرّ شهر بعد، لكن إذا جاءت قريباً، فإنّ مجيئها ذلك سوف يُسهّل على الجدّة إحضار الطعام، أعتقد..

كانت فرحته صدى لفرحة أو رن.

عندئذ، تدخل كيزا كيتشي:

ـ انتظرا قليلاً، قال رافعاً يده. وكأنه يريد ردع فصاحة تابي، ثم التفت ناحية أو رن.

ـ لا حاجة لنا بمجيء الأم من القرية المقابلة، قال زاعقاً.

ثم التفت ثانية نحو تابي:

ـ لا حاجة بك إلى «تغيير الطنجرة» ما دمت أنا سأتزوّج! قال بنبرة متحدّية. ثم خاطب أو رن مجدّداً:

ـ أمّا بالنسبة للطعام، إذا كان إعداده يزعجك، فسوف تعتني به زوجتي، إذن، ما عليك إلاّ أن تخرسي!

ذهلت أو رن. وقذفت عودين كانا في يديها على وجه كيـزا كيتشي.

ـ أيها الغبي! لاتأكل! قالت موبّخة.

عندئذ تكلم الحفيد الذي سيبلغ الثالثة عشرة قريباً وكأنه أراد مناصرة أو رن:

ـ كيـزا كيتشي سيتزوّج مـاتسو ـ يـان من البيت الذي أمـام المستنقع.

كشف عن ذلك أمام الجميع ليُربك كيزا كيتشي. وكان على علم بأن كيزا كيتشي له علاقة جيدة بماتسو ـ يان التي تقطن البيت «الذي أمام المستنقع».

صفع كيزا كيتشي أخاه.

ـ أخرس أيها الأحمق! قال غاضباً. وحدّق فيه بنظرة شرسة.

ذهل تابي بدوره. لكنه عجز عن قول أي شيء. لم يسبق له أن طرح مسألة زواج كيزاكيتشي. ففي القرية يتزوّج الجميع متأخرين، إلى حدّ أنه لم ير أحداً تزوّج قبل سن العشرين. أحسّ بالإنسحاق أمام معارضة كيزا كيتشي العنيدة.

تقول الأغنية:

حتىّ إذا انقضى ثلاثون عاماً فإنّ الأوان لم يفتْ
إذا ازدادت واحدة، يكلف مجيئها ضعفاً

هذا المقطع هو أغنية تنصح بالزواج المتأخر، أمّا عبارة «يكلّف مجيئها ضعفاً» فإنها تعني أن القادمة الجديدة سوف تكلف حصتها كمية غذاء أخرى على الأقل. ولهذا السبب لم يفكر تابي ولا أو رن في مسألة زواج كيزا كيتشي، حتى في الحلم.

يوجد مكان يتجمّع فيه خيط الماء القليل الذي ينساب إلى القرية، مكوناً ما يشبه المستنقع. والبيت الذي يقع أمامه يسمّى: «البيت الذي أمام المستنقع». وحتى أو رن نفسها كانت تعرف جيداً ابنة ذلك البيت المدعوة ماتسو-يان.

ذات مرة غضبت أورن من كيزا كيتشي. لكنها سرعان ما تخلصت من غضبها عندما أدركت أن ذلك، من جانبها، نتيجة خطأ في إدراك عجوز، تفهم الأشياء فهماً سيئاً. وأدركت الآن أن ماتسو-يان صارت إمرأة مكتملة وأن كيزا كيتشي في سنّ الرشد. لقد غضبت من تلك الطريقة الفظة في كلامه، لكنها بدأت تفكّر لأول مرّة بأن لاعذر لها في عدم تكوين رؤية واضحة للاشياء من قبل.

أمّا كيزا كيتشي فقد غادر المائدة وذهب إلى مكان ما.

وفي الغد كان يوم العيد. ملأ الأطفال بطونهم بالسيد الحاجي الأبيض، وقصدوا مكان الإحتفال.

توجد في وسط القرية مساحة أرض مسطحة: ذلك هو مكان العيد. يبدأ الإحتفال في الليل، لكنّ الأطفال يتجمعون منذ الصباح. رقصوا رقصة البون في ساحة العيد. وتتمثل الرقصة ببساطة في تكوين دائرة والمشي مع ضرب ملعقتين من خشب ببعضهما، يحملهما كل واحد باليدين. فالرقصة إذن هي مشْيٌ دائري مع الغناء. ذهب

تابي أيضاً في زيارة إلى مكان ما، فبقيت أو رن وحدها في البيت.

حوالي منتصف النهار تبيّنَتْ أو رن أنّ أمرأة كانت تجلس على سطح الأرومة التي أمام المنزل وتنظر إلى الجهة الأخرى. كانت قد وضعت بجانبها كيس السفر الممتلىء. وبدت كأنها تنتظر شخصاً ما.

تساءلت أو رن منذ البداية عمّا إذا كانت تلك المرأة هي الكنّة التي ستأتي من القرية المجاورة. «لكن، لو كانت هي، لبدا عليها أنها تريد دخول المنزل» حدثت أو رن نفسها دون أن تتأكد من أن تلك المرأة هي الكنّة. يبدو على تلك المرأة أنها جلست لتستريح، بطريقة يمكن للمرء أن يظنّها جاءت في زيارة أيضاً من القرية المقابلة، لترى عائلة ما بمناسبة العيد. لكن كيسها الممتلىء كثيراً لايدلّ على أنها زائرة عادية. ازدادت حيرة أو رن وعيل صبرها، فخرجت.

ـ من أين أنت يا ترى؟ هل جئت من أجل العيد؟

ردّت المرأة بتساؤ ل مألوف:

ـ وهل هذا بيت تابي ـ يان؟

«لاشك أنها الكنّة» فكّرتْ أو رن،

ـ هل جئت من القرية المقابلة؟ هل أنت تاما ـ يان؟

ـ آه نعم، بالضبط! عندنا أيضاً عيد. لكن ما دمت سأجيء إلى هنا، قال الجميع، لابدّ أن تذهبي من أجل العيد. لذلك جئت اليوم.

جذبت أُو رن تاما ـ يان من كمّها:

ـ هيه، حقّاً! هيا، هيّا، ألا تدخلي؟

ركضت أو رن في كلّ اتجاه، وكأنها تطير في السماء، أتت بالمائدة، ووضعت أطباق العيد الشهيّة.

ـ هيّا، كُلي! الآن، سأذهب للبحث عن تابي.

وبعد تلك الكلمات قالت تاما ـ يان:

ـ بدل تناول الطعام الشهي في بيتنا، قال الجميع، أفضل أن أتناوله عندما أصل إلى هنا. لذلك جئت هذا الصباح قبل الإفطار.
ـ هيا، هيا، كلي إذنْ، بلا تكليف.

حتىّ وإنْ لم تقل تاما ـ يان ذلك، فإنّ أو رن ما كانت لتتأثر لو قالت إنها أكلت قبل المجيء، إذ أن أو رن توقّعت قدومها منذ البارحة. ولو أكلت تاما ـ يان قبل المجيء، فإن أو رن كانت ستقدم لها الطعام أيضاً.

بدأت تاما ـ يان تتحدّث وهي تأكل:
ـ ما دامت الجدّة لطيفة، قال الجميع، عجّلي بالذهاب، عجّلي بالذهاب...

كانت أو رن تنظر بابتهاج إلى تاما ـ يان التي كانت تأكل باستحسان.

ـ ذاك الذي جاء قبل أيام هو أخي. الجدّة لطيفة، قال. لذلك فكرت أنا أيضاً في المجيء بسرعة.

اقتربت أو رن من تاما ـ يان. «هذه الكنّة شريفة. وليس كلامها معسولاً» حدّثت نفسها.

ـ كان عليك أن تجيئي قبل الآن. فكّرتُ أنّكِ كنت ستجيئين البارحة.

وبعد أن قالت ذلك، اقتربت أكثر، لكنها تنبّهت إلى أن اقترابها أكثر سوف يكشف عن أسنانها الصلبة. وضعت يدها على فمها وأدخلت ذقنها.

ـ وكيف كنت تنتظرين فوق الأرومة؟ كان عليك أن تدخلي إلى البيت.

ابتسمت تاما ـ يان:
ـ ذلك أني جئت وحدي. لست أدري، لكنيّ كنت مرتبكة قليلاً... قال أخي إنه سوف يأتي معي، منذ مساء أمس، وهو

سكران بدوبوروكو العيد. ما دامت الجدّة لطيفـة، اذهبي بسرعة: منذ البارحة لم يقل شيئاً غير ذلك...

فرحت أِو رن بذلك المديح وأحسّتْ كأن جسدها يطفو فوق الماء.

«آه! إنها كنّة أفضل من الكنّة المتوفّـاة، هذه التي جـاءت!» فكّرتْ:

ــ لو علمتُ بذلك لجئتُ إلى بيتكم لمرافقتك.

قالت تاما ـ يان:

ــ لو جئتِ لكان ذلك أفضل. ولو تمّ ذلك لأعدتك أنا محمولة فوق ظهري.

«هكذا، حدثت أو رن نفسها، كان من شأن هذه البنت أن تجتاز الجبل وهي تحملني على ظهرها من القرية المقابلة!»

لكن أو رن لم تذهب لتأتي بتاما ـ يان من القرية المقابلة؛ لم يبلغ بها الإهتمام ذلك الحدّ. وها هي ذي تشعر بالنّـدم. كان من شأنها أن تجتاز الجبل دون أن يحملها أحد، فكّرت، لكن نية تاما ـ يـان الحسنة التي تمنّت، كما قالت، حملها على ظهرها لتجتاز الجبل، جعلتها تشعر بالسعادة إلى حدود الرغبة في الركوع أمام القادمة الجديدة. كان ثمة شيء تريد أو رن أن تقوله بسرعة إلى تاما ـ يان. وهو أنها حالما يأتي العام الجديد. سوف تحجّ إلى نارایاما. وعندما جاء ناقل البريد، أخوها، كان ذلك هو أول موضوع حدثتْه عنه.

وبنظرة ألقتها اتّفاقاً، تبيّنَتْ أن تاما ـ يان كانت تدلك ظهرها بيدها.

لاشكّ أنّ شيئا ممّا أكلت عَـلِـقَ بحنجرتهـا. توجهت أو رن خلف تاما ـ يان ودلكتها.

ــ كلي إذن بلا تسرع!

هل كان قول ذلك مناسباً أم لا؟ ترددت متسائلة إن كانت ستظهر بخيلة إذا قالته. وفكّرت بأنه من الاحسن ألا تقول شيئاً، وتذهب للبحث عن تابي، فتتمكن تاما ـ يان بعدها من الأكل وحدها دون إسراع.

أعلنت وهي تدلك ظهر تاما ـ يان:

ـ حالما يأتي العام الجديد سوف أذهب فوراً إلى الجبل.

كفّت عن التدليك وهي تعلن ذلك . وظلّت تاما ـ يان لحظة دون أن تقول شيئاً، ثم:

ـ آه! أخي أيضاً، قال ذلك. لكن فلتذهب دون تعجيل، قال.

ـ مهلاً! إذا عجّل المرء بالذهاب، نال رضى السيد إله الجبل.

ثمّة شيء آخر كانت أو رن تريد التحدّث به فوراً إلى تاما ـ يان وضعت أمامها صحناً كان يوجد في وسط الطاولة. وهو صحن مملوء حتى الحافة بسمك الترويت المغلي. فكرت بأنها ينبغي أن تتحدّث عن هذه «الترويتات»

ـ هذه الترويتات، أنا التي اصطدتها كلها.

عندما تُجفَّفُ الترويتة، وهي ملكة أسماك المياه الحلوة، تصير ألذّ أسماك الجبل. فعلّقتْ تاما ـ يان وقد بدا عليها عدم التصديق:

ـ هه؟ وهل تقدر الجدّة على صيد الترويت؟

ـ ها! تابي وكيزاكيتشي لايقدران على ذلك البتّة. ولا أحد في القرية يستطيع أن يصطاد بمقدار ما أصطاد أنا.

وأرادت أورن أن تعلّم تاما ـ يان سرّ صيد الترويت، وهي الموهبة الوحيدة الخاصة بها، قبل الذهاب إلى الجبل.

تركت بريقاً يمرّ في عينيها:

ـ أنا، نعم، أعرف المكان الذي يوجد فيه الترويت. وهو أمر

لاينبغي البوح به لأحد. سوف أعلمّك فيما بعد. نذهب في الليل وهناك في حفرة، إذا وضعنا اليد، من المؤكد أننا سوف نجده وهو أمر لاينبغي البوح به لأحد.

أذْنتْ أو رن صحن التــرويت وكــأنهّا ستضعــه تحت أنف تاما ـ يان:

ــ أشياء بسيطة مثل هذه، يمكنك أن تأكليها كلّها. هيّا، كُلِي! يوجد منها الكثير، مجفّفاً.

وبعد ذلك، قالت وهي تقف:

ــ سأذهب للبحث عن تابي، تابعي الأكل إذنْ!

قالت ذلك وخرجت من الباب الخلفي. ثم دخلت إلى المخزن. كانت في منتهى الفرح لأنّ تاما ـ يان قالت عنها إنها لطيفة، فاستدعت أكبـر شجاعـة وأكبر قـوة في حياتهـا، اغمضت عينيها و... طق! بأسنانها! على ركن الجدار الحجري.

تخدَّرَ فَمُها حتى ظنّته طار. بعد ذلك، ،وكــأن فمهـــا صار حارّاً من الدّاخل، أحسّتْ بمذاق حلو قليلاً. خُيّل إليها أنّ أسناناً عديدة تتدحرج في فمها. ضغطت الدم السائل من فكّها بيدها وذهبت نحو الساقية، حيث تمضمضت. خرجت سنّان مهشمتان من فمها.

ــ كيف؟ اثنتان فقط؟

أحست بالخيبة. لكن، بما أنهّا فقدت سنّين أماميتين متجاورتين، من أعلى، فقد أمسى فمها كأنـه فارغ، وفكـرت بأنها نجحت في مهمتها. وفي اللحظة نفسها كان كيزاكيتشي سكران تماماً من دوبوروكو السيد الحاجي الأبيض، ويغني في ساحة العيد أغنية أسنان الشيطان. أمّا أو رن فقد تخلّصت من بعض الأسنان، لكنها في الوقت نفسه جرحت نفسها في موضع ما من فمها. وكان الدم يسيل بمذاق حلو قليلاً داخل فمها، بغزارة.

ـ فليتوقّفْ! فليتوقّفْ! ألّحتْ، وغرفت بيدها من ماء الجدول لتغسل فمها. لكن الدم لم يتوقف. وكانت تشعر بالسعادة وكأنها أتمت بنجاح قضية هامة، بكسر سنّينْ أماميّتينْ. لم تنقطع عن ضرب فمها بحجر النار: لاشك أنّ في ذلك سبب انكسارها فعلاً.

«لم يكن الضرب بحجر النار من دون طائل» حدّثت نفسها. ومن فرط شربها ولفظها للماء، وهي تكاد تغطس وجهها كله في الجدول، انتهى الدم بأن توقف. ظل فمها يؤلمها من الداخل قليلاً لكنها لم تكترث. ورغبت في أن تطلع تاما ـ يان على حالة صفّ أسنانها السيّئة، فعادت إلى البيت. كانت تاما ـ يان لاتزال تأكل. جلست أو رن أمامها:

ـ لاتسرعي! كلي حتىّ البشم! سأذهب للبحث عن تابي فوراً.

ثمّ:

ـ أمّا أنا، فقد حان العام الذي أذهب فيه إلى الجبل. إن أسناني تالفة...

أذْنتْ أو رن فكّها وهي تعض شفتها السفلى بأسنانها العليا، لكي لاتظهر سواها. «لقد أنجز كلّ شيء، هكذا» فكّرت وهي تكاد تطير في الهواء.

حدّثت نفسها بأنها سوف تظهر أسنانها في الطريق لسكّان القرية أثناء ذهابها للبحث عن تابي. خرجت من البيت متوجّهة إلى ساحة العيد. ومشت واثقة أنها تستطيع الآن أن ترفع كتفيْها عالياً.

عندما وصلتْ إلى مكان الحفلة، كان كيزاكيتشي يقود عزف الموسيقى والجميع يغنّون أغنية أسنان الشيطان، لاحت أو رن فاغرة فمها وقد عاد الدم المتخثر ليسيل من جديد. لم تنتبه أو رن للأغنية. وقولها انها كانت تبحث عن تابي، ما هو إلاّ ذريعة لتتمكّن من إبـراز صفّ أسنانها. ونظراً لكونها لم تكن تفكّر إلاّ في ذلك، فإنهّا لم تنتبه للأغنية.

صاح الكبار والصغار المجتمعون في ساحة العيد عندما شاهدوا فم أو رن: آه! وهربـوا. وأصَرّتْ أو رن لدى رؤيتهم على عدم إغلاق فمها. ولم تكتفِ بإظهار أسنانها العليا بل عضّتْ بها على شفتها السفلى رافعة ذقنها وكأنها تقول: «انظروا!» ولّما كان الدم لايزال يسيل فقد صار وجهها، في نهاية المطاف، مرعباً. أمّا هي فلم تكن لتفهم لماذا كان الجميع يهربون لدى رؤيتها:

ـ ها..! ها..! ها..! ها..!

تملكتها الرغبة في الضحك بلطف.

لقد توصّلت أو رن إلى نتيجة معاكسة لما كانت تتوقعه من كسر أسنانها. وحتى بعد انتهاء العيد، ظلّت موضوعاً للسخرية.

ـ شيطانة بيت الأرومة العجوز، يقولون عنها مغتابين، وانتهت بأن أمست شيطانة عجوزاً حقّاً في أعين الصغار:

ـ لو عضّتك، لن تتركك أبداً!
ـ سوف تلتهمك!

هذا ما صار يُقال عنها في النهاية. ويقال أيضاً للطفل الذي لايكفّ عن البكاء: «سآخذك إلى الأو رن-يان!». وهكذا صاروا يستخدمونها لإنهاء البكاء. وثمة أيضاً أطفال، إلتقوا أو رن في الطريق مساءً، «هاه!» وهربوا وهم يصيحون. وأخيراً سمعت أو رن الأغنية المشهورة. وعلمت أنهم يقولون عنها: شيطانة عجوز.

انتهى عيد نارایاما، وفوراً، رقصت أوراق الأشجار في الريح. وعندما يشتد البرد، تكون بعض الأيام كأنها الشتاء. ظلّ تابي شارد الذهن لايتغيّر، رغم وجود الكنّة.

ولم يمرّ شهر على وصول تاما-يان، حتىّ ازداد عدد أفراد العائلة، بامرأة أخرى. ففي ذلك اليوم جلست ماتسو-يان «البيت

الذي أمام المستنقع»، على الأرومة ووقت الغداء جلست إلى مائدة أُو رن وذويها، وتناولت الغداء. كانت طريقة أكلها تدل على الرضى حقاً، وكأنه تعبير يريد القول هُنا يوجد الفردوس على الأرض، كانت فرحة جدّاً وهي تأكل. وكانت تأكل كثيراً وبصمت، وهي جالسة إلى جانب كيزا كيتشي. وأثناء العشاء، أيضاً، جلس الإثنان جنباً إلى جنب. وَخزَتْ ماتسو-يان خدّيْ كيزا كيتشي بعُوديْ الأكل وتداعبَا. ولم يظهر أيّ انزعاج على أو رن أو على الزوجيْن تابي. لم تفكر أو رن أن كيزاكيتشي بلغ هذا الحدّ من الرشد ولم تتمالك نفسها عن الإرتباك. وعندما حلّ الليل إنـدسّتْ مـاتسـو-يـان تحت لحـاف كيزاكيتشي. وكانت أو رن قد لاحظت أثناء الغداء، بأن استدارة بطن ماتسو-يان لم تكن عادية. وتأكّدَتْ أن الشيء يعود إلى أكثر من خمسة أشهر: هل يكون في السنة الجديدة؟ وحتىّ إذا جاء مبكراً فليس من المستحيل أن يكون في هذه السنة. تملّك القلق أو رن بشدة: إذا ولدت ماتسويان فإنّ أو رن سوف تشهد الدّرص.

وفي الغد، مكثت ماتسو-يان، بعد الإفطار، جالسة علىالأرومة، ولم تدخل البيت إلا في وقت الغداء، وعندما انتهت من الأكل، عادت إلى الجلوس فوق الأرومة. وعند حلول المساء أَمَرَتْها تاما-يان:

ــ ماتسو-يان أَشْعِلي النّار في الموقد.

لم تكن ماتسو-يان ماهرة في إذْكاء النار، فامتلأ البيت دخاناً. وأخذت صغرى الأطفال تبكي وقد أزعجها الدخان، ملأ الـدخان المكـان بحيث اندفعت تـاما-يـان وأو رن بـاتجـاه الأرومـة، وحتىّ ماتسو-يان نفسها، وهي التي كانت تشعل النار، خرجت وهي تفرك عينيها.

تاما-يان:

ــ إنها راشدة في شيء معين، أما فيما يتعلق بإذكاء النار فليست سوى نصف شَغّالة!

قالت ذلك وضحكت. تغلّبت أو رن على مضايقة الدخان وقصدت الموقد ثم أطفأت النار ساكبة عليها الماء، ثم أشعلته من جديد فبدأ يتوهّج جيداً. رَمَتْ أو رن الأغصان التي ظلت غير مشتعلة في نار ماتسو-يان التي أطفأتها بالماء ثم قالت:

- لماذا وضعت حطب كياكي، هكذا؟ يا ماتسو-يان لاينبغي وضع أشياء مثل هذه في النار أبداً. إذْ يُقال، عن صواب، أنّ منْ يحرقْ خشب كياكي تؤلمه عيناه طيلة ثلاثة أعوام.

ثم تذمّرت بصوت خفيض:

- بالنسبة لي، لاضرر من تلف عينيّ، أمّا أنتم، إذا أصيبت عيونكم، فإنّ ذلك سوف يكون مزعجاً، أظنّ.

قالت تاما-يان:

- ما دامت ماتسو-يان لاتجيد إشعال النار، فلتهتمّ برعاية الصّغيرة على الأقل!

ووضعت لها الطفلة الصغيرة على ظهرها. فكانت تبكي بسبب تأثير الدخان. تناولت ماتسو-يان الصغيرة وأخذت تغنيّ وهي تهزّ كتفيها بعنف:

ستةُ جذورٍ، ستة جذور، يا ستة جذور[1]

ذهلت أو رن وتاما-يان. ذلك أنّ هذه الأغنية لاتنشد إلاّ في مناسبات خاصة. تنشد أثناء مرافقة الحجّاج إلى نارایاما أو أثناء رعاية طفل. لكن الأغنية أثناء رعاية الطفل هي «ستة جذور، ستة جذور» وتسمّى هدهدة **الأطرش** أو هدهدة **الشيطان**.

---

(١) الجذور الستة أو العروق الستة هي، في المصطلح البوذي، الحواس الست: العين، الأذن، الأنف، اللسان، الجسد والروح.





ستة جذور، ستة جذور، يا ستة جذور
رعاية الطفل تبدو سهلة وهي ليست كذلك أبداً
على الكتفين هو ثقيل وعلى الظهر يصيح
آه! ستة جذور، ستة جذور، يا ستة جذور

غنّت ماتسو-يان. عادةً، عندما ينطق المرء كلمتي «ستة جذور»، يهزّ كتفيه ويجهد بتلك الهزهزة القوية كي يسكت الصوت الصارخ. وتترافق الهزهزة بصوت أقوى من الصوت الصارخ، بحيث يغطي ذلك الصوت. أما طريقة الهزّ فهي بالأحرى طريقة عنيفة، تجعل الطفل الذي على الظهر لايقدر على فتح فمه. وتتم الحركة من الكتف اليمنى إلى الكتف اليسرى بطريقة تُحدِثُ صدمات، طق، طق! أمّا الذين يُرافقُون بهدهدة الأطرش هذه، ساعة حجّهم إلى نارايااما فهم أولئك الناس الذين لم تتحسّن طباعهم كثيراً أو الذين يرزحون تحت «التأثيرات السيئة»، عندما يصرخون ويرفضون التقدم، فيغنيّ مرافقوهم هذه الأغنية. وبما أنّ ماتسويان لاتعرف، فقد كانت تغنيّ: «ستة جذور، ستة جذور»، فقط، وفي الحقيقة ينبغي ترديد: «لنطهّر الجذور الستّة» مرتين، بمثابة لازمة في الأغنية. ومعناها أن تطهير الجسد والروح، يلغي التأثيرات السيئة القديمة وثمارها. وتختلف أغنية رقصة «البون» عن أغنية هدهدة الأطرش، في الأصل، من حيث اللحن والكلمات لكنهما يغنّيان الآن باللحن نفسه. وكلتاهما من أغاني نارايااما.

ولّما كانت ماتسو-يان تغنيّ وهي تهزهز الطفلة على ظهرها فقد أخذت الصغيرة تصيح بحدّة متزايدة، كما لو أشتعلت فيها النار. فهزّتها ماتسو-يان بعنف أشدّ، وأنشدت هذه الأغنية:

ستة جذور، ستة جذور، يا ستة جذور
إنهقي أيتها الطفلة القذرة الحمقاء
سوف أعطيك شيئاً طيباً
أذناي متجمّدتان وأنا لا أسمعك
آه! ستة جذور، ستة جذور، يا ستة جذور

«انهقي!» أي «اصرخي!» وهذا يعني: «لتصرخ ما شاءت سوف أعطيها شيئاً طيباً، هذه الطفلة الحمقاء.» لكن، في هدهدة الأطرش لعبارات «أعطيك شيئاً طيباً» معنى: قَرْصُ الطفل على الظهر. إنها أغنية تقول: يمكنك أن تبكي ما طاب لك البكاء، فذلك لايزعجني. وما دامت أذناي متجمّدتين، فأنا لا أسمع.

لم يسبق لأو رن، حتىّ هذا العمر وأثناء حمل طفل على ظهرها أنْ غنّت ولو مرّة واحدة هدهدة الأطرش. أمّا ماتسو-يان التي لم تأتِ إلى البيت إلاّ البارحة، فهي امرأة مجردة من الإنسانية إلى درجة أنها غنّت تلك الأغنية اليوم. فهمت أو رن ذلك. وظلّت هي وتاما-يان مذهولتين.

أخذت الطفلة تصيح أكثر فأكثر على ظهر ماتسويان. لم تتحمل تاما-يان ذلك المشهد فأسرعت وتناولت الطفلة. لكن الأخيرة لم تتوقف عن البكاء وكأنّ النار وراءها. «وإذا...؟» تساءلت تاما-يان. اقتربت من أو رن والطفلة في حضنها؛ نزعتا ثيابها وتفحصتا

مؤخرتها. وعلى المؤخرة كانت توجد آثار قرص في أربعة مواضع، كانت تشكل ما يشبه بقعاً زرقاء. نظرت أو رن وتاما ـ يان الواحدة إلى الأخرى في ذهول.

منذ مجيء ماتسو ـ يان، صار كيزا كيتشي أكثر هدوءاً، ولم يخاطبْ أو رن بشيء قط. أمّا ما قاله لها في ذلك اليوم فهو مغاير تماماً:

ـ متى ستذهبين إلى الجبل يا جدتي؟

سألها وقت الغداء.

ـ سأذهب حالما يقبل العام الجديد.

وبما أنه كرر السؤال عدّة مرات، فقد انتهت أو رن بأن ابتسمت ابتسامة مرّة.

كيزا كيتشي بنبرة سريعة:

ـ في أسرع وقت ممكن أفضل، في أسرع وقت...

وهذه المرّة، تاما ـ يان:

ـ في أبطأ وقت ممكن، أفضل، في أبطأ وقت...

تلوّت من الضحك وهي تقلّد طريقة كلام كيزا كيتشي. والحقيقة ان الطريقة التي تكلّمتْ بها تاما ـ يان كانت مضحكة جداً، ذلك أنها تكلّمت بعد كيزاكيتشي مباشرة وبنبرة سريعة مثله. أخذت أو رن تضحك معها.

ولّما ازداد عدد أفراد العائلة بامرأتين، لم تعد أو رن النشطة لتعرف ما تفعل بيديها. كانت البطالة تشعرها بنقص يصل إلى حدّ الكآبة. ثمة لحظات تكون فيها ماتسو ـ يان نفسها صالحة لشيء ما؛ وثمة لحظات تشعر فيها أو رن بالقلق في وقت فراغها. لكن بالنسبة لأو رن يوجد دائمًا هذا الهدف: الذهاب إلى حج نارایاما. لاشيء مرسوماً في قلبها سوى الأشياء المتعلقة بذلك اليوم. وكانت تفكّر: لقد وصفوني بالشيطانة العجوز، لكن عندما تحين ساعة الذهاب إلى الجبل

سوف يكون هناك فرقٌ بيني وماتا-يان بيت الفلس! عندما أذهب إلى الجبل سوف أجهّز مأدبة مثل مأدبة العيد. لقد إحْتَطْتُ للأمر، كي يتمكن الجميع في البيت من أكل السيد الحاجي الأبيض والفطر والترويت المجفف... حتىّ البشم. أمّا دوبوروكو السيّد الحاجي الأبيض الذي سيُقدّم لسكان القرية، فقد خمرتُهُ ـ مع ترقيقه قليلاً، والحق يقال ـ وما جهزته لايقلّ عن «تو»[1] لا أحد يتوهم ذلك الآن... يقيناً ما إن أذهب إلى الجبل، حتىّ يقفز الجميع في البيت على الأكل ويأكلون بلذّة، عندئذ سوف يذهلون ويقولون: «كلّ هذا... يا جدتي!» وفي ذلك الوقت، أكون قد ذهبت إلى الجبل، جالسة على بوريّة جديدة، في حالة روحيّة طاهرة.

لم تعد أو رن تفكّر إلاّ في الحج إلى نارایاما.

في غداة يومٍ عصفت فيه ريح شديدة طوال النهار وزَوْبَعَتْ من أول الليل إلى آخره، ارتفع في الفجر، بغتة، صوت يصْرخ هذه الصرخة الغريبة:

ـ اعتراف بالذنب إلى السيد نارایاما!

بعد هذه الصرخة علا ضجيج سكان القرية هنا وهناك. وعندما سمعت أو رن الصوت، إنْسلّت بسرعة من تحت اللحاف، وتشقلبت خارجة من البيت. ورغم شيخوختها فقد تناولت هراوة. ومن جانب آخر، خرجت تاما-يان تحمل الطفلة مربوطة إلى ظهرها كما اتّفق. وما هي إلا برهة حتىّ تناولت بدورها هراوة.

صاحت أو رن:

ـ أين هو؟

امتقعت تاما-يان دون أن تجيب وكأنها لم تجد متسعا من الوقت

---

(١) كيل يعادل ثمانية عشر لتراً.

لتقول شيئاً، ثم أخذت تركض. وكان الجميع في البيت قد استيقظوا وخرجوا.

كان اللّص هو صاحب بيت المطر. وكان قد تسلل خلسة إلى البيت المجاور، «الصنوبرة المتكلسة»، وبينما هو يسرق أكياساً من حبوب الجُلبان، تلقّى سيلاً من ضربات انهالتْ عليه من أهل «الصَّنَوبرة المتكلّسة».

تُعدّ سرقة الغذاء في القرية من صنيع الإنسان الدنيء. وعلى الأخير أن يخضع إلى ما يطلق عليه «اعتراف بالذنب إلى السيد نارایاما» وهي أشد العقوبات قسوة. وتتمثل في الإستيلاء بالقوة على ما في بيت الجاني من غذاء، واقتسامه بين الجميع. وإذا سها الذين يذهبون للاستيلاء على قسم من الغذاء، فلم يتأهبوا للعراك والركض من دون أخطاء فإنهم لايحصلون على شيء. ففي حالة مقاومة اللصّ، ينبغي اللجوء إلى الصراع والإندفاع بأسرع وقت ممكن. وهذه السرعة تتطلب من المرء بالضرورة أن يخرج حافياً. والذي يخرج بحذائه، يكون معرّضاً للضرب بدوره. وهكذا فإن الأمر يتعلق بصراع عنيف حتىّ بالنسبة للذين يخرجون ركضاً. ذلك أن مصادرة الغذاء هي مسألة من الأهمية بحيث تجدها موسومة في عروق كلّ شخص.

بلغ الإنهاك بصاحب بيت المطر حدّاً لم تعد معه رجلاه وكلْيتاه قادرة على الحركة. وتمّ القبض عليه في بيت الصنوبرة المتكلسة، لكنّه حُمِلَ على الأكتاف حتىّ ساحة العيد. وأُجْبِرَ بقية أفراد عائلة بيت المطر على الجلوس قربه. فكانوا يزمجرون من دون أن يدركوا حتىّ ما يتوجب عليهم عمله. عندئذ تمّ ما يطلق عليه «تفتيش البيت» هجم رجال أقوياء على بيت المطر وألقوا بكلّ ما يحتويه من أطعمة، إلى الخارج، أمام واجهة البيت. وعندما شاهد الجميع ماتمّ القاؤه خارج البيت، جحظت عيونهم من

الدهشة. كانت البطاطا تخرج بلا انقطاع من شرفة البيت حتىّ صار يوجد منها كومة مساحتها حوالي «تسوبُو»[1] ولم يكن يوجد مبرّر لأهل بيت المطر، حتىّ يجمعوا كلّ تلك الكمية من البطاطا. إذْ ينبغي زرع بعض حبوب البطاطا من أجل الحصول عليها. ولّما كانت بطاطا الزرع تؤكل بعد انتهاء الشتـاء، فإنه لم يكن يبقى منها في كلّ البيوت، سوى القليل ، بل إنها كثيراً ما تكون مفقودة حتىّ قبل انتهاء الشتاء. وفضلاً عن ذلك كان الجميع في القرية يعرفون الكمية التي انْتجَها كل بيت، لذلك يُفترض أن أصحاب بيت المطر لم يجنوا عُشْر ما عندهم. ولاشك أنّ تلك الكومة من البطاطا هي ملك عائلات القرية كلها، وقد تمّ اقتلاعها وهي لاتزال في الحقول.

حصـل الاعتراف بـالذنب إلى السيـد نارايـاما خـلال جيلين متعاقبين في بيت المطر. وأثناء الجيل السابق قيل إنهم أمضوا شتاء وهم يقتاتون بجذور برّية ولكنهم ما داموا قد قضوا الشتاء بشكل جيد، فلا شك أنهم كانوا يخفون غذاء في مكان ما، في مكان ما من الجبل، قيل في ذلك الوقت.

ـ في بيت المطر ثمة سلالة، سلالة لصوص، وإذا لم نَجْتَثّ أدنياء تلك العائلة من الجذور، لن نتمكّن من النّوم براحة بال، حتى في الليل! كان القوم يتهامسون.

تضم عائلة بيت المطر اثني عشر فرداً.

وفي ذلك اليوم لم يعمل أحد طيلة النهار. كان سكان القرية جميعهم مهتاجين وغير قادرين على استعادة الهدوء.

وعند أو رن أيضاً كان الجميع شاردي البال. وكان تابي ممّدد الساقين يمسك برأسه بين راحتيه وهو يحدّث نفسه:

---

(١) التسوبو: يتجاوز ثلاثة أمتار مربعة.

«وهذا الشتاء أيضاً، هل يمكن الخروج من الورطة؟»

لم تكن حكاية بيت المطر حكاية الآخرين فقط. ففي بيت تابي أيضاً هناك عوز شديد. وقد جعلته حادثة بيت المطر ينتبه إلى الأمر الواقع. الغذاء غير كاف ولايمكن اللجوء إلى السرقة مهما حصل. في بيت المطر إثنا عشر شخصاً، وفي بيت تابي ثمانية. لكنّ الأكلة الشرهين كثُر والعوز هو نفسه الذي في بيت المطر.

كانت أو رن جالسة حذْو تابي. الشتاء موضوع قلق من دون شك. ومعاناة مرور الشتاء هي معاناة كل عام، لكنْ في هذا العام، كبُر الأطفال، فضلاً عن ازدياد عدد أفراد العائلة. لذلك سوف يكون الخلاص أقسى من الشتاءات العادية، فكّرتْ. ثم إن ماتسو-يان مزعجة بشكل خاص.

قالت أو رن عن ماتسو-يان:
ـ لم تأت لتكون زوجة كيزاكيتشي فقط. فالطريقة التي تأكل بها توحي لي بأنّها جاءت إلى هنا مطرودة من عائلتها.

أحسّت أو رن أن الحقيقة لا تختلف عن ذلك. ليست ماتسو-يان إلاّ امرأة لكنّها تستهلك كمية ضخمة من الطعام. وفوق ذلك، فهي لاتبدي أي قلق تجاه موضوع المواد الغذائية. ذات يوْم بينما كانوا يطبخون الجلبان، أعلنت ماتسو-يان:
ـ يقال إن الجلبان المطبوخ كلما أكل منه المرء لاينتهي!
وما إن قالت ذلك حتى انكبّت على الطعام تأكل منه بسرعة. عندئذ تضايقت أو رن وتاما-يان كثيراً. لكن ما همّ ماتسو-يان؟ كانت تريد القول: «لنطبخه مع إضافة كمية كبيرة من الماء.»
عندئذ قال تابي بدوره:
ـ إذا كان الجلبان لاينتهي كلما أكل منه المرء، أظن أنه سوف ينتهي حتىّ إذا لم تأكلي منه البتّة.

ورغم هذه السخرية لم يبدُ على ماتسو ـ يان أنها فهمتْ شيئاً:
ـ إيه... ! حقاً...؟ قالت بسلامة نيّة.
تابي:
ـ كيزا كيتشي ! اصفع ماتسو ـ يان!
وإثر هذه الكلمات توقّفت ماتسو ـ يان عن أكل الجلبان.
كان تابي، وكذلك أو رن، يفكّران في الشتاء وكانت تاما ـ يان تفكر في الموضوع نفسه.

«طريقة الأكل في بيتنا همجيّة جدّاً! إذا لم نفعل شيئاً لضمان القوت، وإن كان ذلك بتحديد حصة لكل يوم...»

قال كيزاكيتشي:
ـ اليوم أنجزنا عملاً ناجحاً!
تكلّم بنبرة ملؤها الإدّعاء.

لاشك أن عمل الصباح كان قضية هامة وهو الذي أسرع وسط الضوضاء قبل جميع من في المنزل، فضلاً عن كونه كان من المشاركين في تفتيش البيت فعاد بحصة كبيرة من البطاطا التي تم توزيعها.

كانت ماتسو ـ يان أيضاً جالسة هناك. وكانت، ببطنها المنتفخ الناتىء إلى الامام، تشبه ضفدعة. لكنها اليوم كانت متوتّرة.

قامت تاما ـ يان، وكأنها تذكّرت شيئاً، وذهبت إلى المخزن ثم عادت برحى حجرية بين ذراعيها. وأخذت تطحن حبوب الجلبان التي تحولت ، في ضجة طاحونة صغيرة، إلى دقيق أصفر، سرعان ما طفحت به الرّحى. وعندما شاهد كيزاكيتشي ذلك بدأ ينشد:

إذ أكَلْتَ جلباناً دعْهُ يبرد
أبي أعمى ولن يرى شيئاً

«دعه يبرد» تعني: انقعه في ماء بارد. وهي أغنية تشير إلى أن

حبوب الجلبان المحمّصة أو النيّئة تحدث صوتاً عندما يقضقضها المرء، فينتبه أهله العميان إلى أنه يأكل منها. لذلك توضع في الماء كي تلين قبل أكلها، خفية. أمّا «الأهل العميان» فلا تعني بالضرورة أنهم لايرون البتّة، فالمقصود أنّ بإمكان الشباب الذين يجوعون أكثر من الشيوخ، أن ينتهزوا كون الشيوخ لهم رؤية سيّئة، ليأكلوا أكثر، لكن، خفيةً حتىّ لايعلم الكبار بذلك.

في هذه الأثناء دخل أحد أبناء بيت الفلس قائلاً:

ـ إنه شيء فظيع!

وكان يقصد بقوله «إنه شيء فظيع» أن أحدهم قام بشيء فظيع، أي قذر. وكان لايزال مدهوشاً من الشيء الفظيع الذي فعله صاحب بيت المطر.

ـ انظروا إلى هذه البطاطا، إنها جديدة كلها!

كان من الواضح أن البطاطا قد أُخْرِجَتْ من الأرض حديثاً.

ـ أنا، لم أستخرج كثيراً من تلك التي زرعتها، فكُنْتُ أقول لنفسي: ذلك لأنها اُسْتُخْرِجَتْ في غيابي، قسَمًا! وبالنسبة لي لايتعلق الأمر باقتسام بل باسترجاع ما كان لي. ثم ان ما نُبشَ من حقلي هو أكثر من ذلك!

كان تابي يفكر بالشيء نفسه. كان يفكر بأنّ الكمية المأخوذة من كلّ عائلة أكثر ممّا استلمته بعد القسمة.

ابْن بيت الفلس:

ـ إذا لم ننتقم لذلك، فإنّ أدنياء بيت المطر سوف يأتون للسرقة ليلاً، هذا مؤكد. إذا لم نفعل شيئاً الآن، ينبغي ترك الوسادة عالية، ولايسعنا النوم، إذا لم نقضِ عليهم من الجذور...

تابي:

ـ حتىّ إذا قضينا عليهم من الجذور فَهُمْ إثنا عشر...

إثر هذه الكلمات قال كيزا كيتشي مازحاً:

ـ ما أحمقكم! يكفي أن نحفر حفرة سُلاَليَّة وندفنهم كلّهم!
توقفت تاما ـ يان عن الطحن وقالت مازحة بدورها:
ـ أفّ! مثل ذلك الحشد، أين يمكن دفنه؟
ابْن بيت الفلس:
ـ ليست مسألة ضحك! لقد توقفوا عن العمل في كل البيوت وهم يفكرون في ذلك!

ولّما كان ابن بيت الفلس يجتاز العتبة منزعجاً بعد تلفّظه بتلك الكلمات، كانت ثمة أصوات غربان تنعق، غاق، غاق. . .
ـ عجباً! من فرط التحدّث في أشياء من هذا النّوع صارت الغربان تنعق! قالت أورن. عندئذ التفت ابن بيت الفلس:
ـ ربمّا كان هناك دفن في المساء!

وخرج بعد ذلك. تُوجد المقبرة في الجبل الذي وراء القرية. وحتىّ في مثل هذه القرية التي ينقصها الطعام، عندما يموت أحـد الصغار في السنّ، تُقدّم على قبْره قصعة طعام. وسرعان ما تأكله الغربان. لذلك يقال إن الغربان تبتهج عندما يُدفن أحدٌ ما. ويقال أيضاً ان للغربان حدساً غريباً يجعلها تـتوقع عمليـة الدفن، فتنعق مبتهجةً في مثل هذه الحالة: لذلك صار نعيقها بمثابة إعلان عن مأتم. سكت الجميع بعد خروج ابن بيت الفلس. وما دام سكان القرية متأهبين للقتل، فإنّ أفراد بيت المطر قد يختفون واحداً تلو الآخر منذ الليلة. ولدى التفكير في ذلك شعر الجميع بالإنكماش قليلاً. وحتىّ الرحى الحجرية التي كانت تديرها تاما ـ يان، بـدأت ترسل صوتها الذي يشبه صوت طاحونة صغيرة، بطريقة غريبة. . .

قال تابي المتمدّد على الأرض، فجأة:
ـ أيتها الجدّة ستذهبين إلى الجبل، في العام المقبـل، أليس كذلك؟

وعندما سمعته أو رن تنفّست الصعداء. لقد كان تابي مشغولاً بتلك التدابير الروحية! فشعرت بالإطمئنان.

وما لبثت أن أجابت:

ـ سبق لجدتي في القرية المقابلة أن ذهبت إلـى الجبل. وكذلك ذهبت الحماة في ذلك البيت إلى الجبل. وأنـا، بدوري، يتوجب عليّ ذلك! . . .

توقّفت تاما ـيان عن إدارة الرحى:

ـ لا حاجة بك إلى الذّهاب. عندما يُولد الدّرص، سـوف أذهب لألقي به من منحدر، في الجبل الذي وراء القرية، وهكذا لن تُهجَى الجدّة بالأغاني كما حدث في بيت كايا نـوكـي. إذن لاتعذّبي نفسك!

بعد ذلك قال كيزا كيتشي بفخر:

ـ ما أحمقكم! أنا الذي سأتولىّ رميه! لا حاجة إلى التعلّل بالأعذار!

لا حاجة إلى التعلّل بالأعذار. أي: ليس صعباً.

ثم التفت ناحية ماتسو ـيان، وأضاف:

ـ هه! قالوا بأنيّ سأتولىّ رميه!

عندئذ ماتسو ـيان:

ـ هاه! حقّاً، أنا أسأله!

وجه الجميع أنظارهم في آن واحد إلى بطن ماتسو ـيان الممتلىء.

كانت رحى تاما ـيان لاتكفّ عن إحداث ضجّتها التي تشبه ضجّة طاحونة صغيرة. كانت تدوّي مثل زوبعـة تهدر في البعيـد. وعندما سكت الجميع أخذ كيزاكيتشي يغنيّ بصوت قوي، وهو يجلس متربّعاً وثيابه مرفوعة من الخلف:

أيها الأب الصّغير اخرج لترى الأشجار اليابسة وهي تنتفش

في هذا الوقت صار كيزا كيتشي ماهراً في الأداء. وشهدت أو رن على مهارته، لكن الأغنية التي رددها الآن كانت نشازاً. كانت تُغنىّ منذ القديم لكنها تشوشت باطراد «إنه لأمر مؤسف» فكرت أو رن:

ـ كيزا! لاتوجد أغنية هكذا. إنها «الجبل يحترق والأشجار اليابسة تنتفش» علّمتْه.

ـ ها! لكن... الشيخ في بيت الفلس أنشدها هكذا.

ـ أيها الأحمق! قديماً أشتعلت النار في الجبل. وفي ذلك الوقت ذهب الجميع إلى الجبل على ما يقال. إنها أغنية تتحدّث عن ذلك. أليس كذلك يا تابي؟

قالت ذلك ونظرت إلى تابي.

كان تابي ممدداً ووجهه باتجاه السقف، وعلى جبينه قطعة قماش، تنزل حتىّ عينيه. نظرت أو رن جانبيّاً إلى وجه تابي. وفجأة تملكها شعور بالرأفة تجاهه. اجتياز الشتاء شيء منهك، وفضلا عن ذلك، فإنّ المرافقة إلى الحـج صعبة أيضاً. قبل قليل قال تابي: «في العام المقبل ستذهبين إلى الجبل، أليس كذلك؟»... ولم يكف عن الإهتمام حتى الآن. وعندما فكّرتْ في ذلك شعرتْ بالرأفة.

اقتربتْ أو رن من تابي. رفعت الخرقة بلطف. بدت لها عينا تابي لامعتين بحيث تراجعت فوراً وابتعدت.

«عيناه لامعتان، هل كان يبكي أم مـاذا؟ إذا كانت تنقصـه الشجاعة فإن البداية سيئة!» فكرتْ.

«لننظر إليه جيداً، ما دامت عيناي مفتوحتين».

وبلمحة منحنية، نظرت طويلاً في اتجاه عيني تابي.

توقف صوت الرحى. اندفعت تاما ـيـان إلى الخارج وذهبت





لتغسل وجهها في الجدول المقابل. منذ قليل توقفت تامايان عن إدارة الرحى وذهبت لتغسل وجهها[1].

«وهذه الأخرى، هل كانت تبكي أم، ماذا؟ ها إننا بدأنا بداية سيئة! مع هذا النقص في الشجاعة.... ينبغي على تابي أن يكون أكثر صلابة، لقد بدأنا بداية سيئة، لايوجد سوى ضعاف القوى!»

عاد كيزا كيتشي إلى الغناء:

الجبل يحترق والأشجار اليابسة تنتفش
حان وقت الذهاب فضع اللوح على ظهرك

هذه المرّة كان أداؤه للأغنية صحيحاً. والمقطع الذي يقول «الأشجار اليابسة تنتفش» يُردد بلحن يشبه الترتيل، وكان الأداء ممتازاً بحيث كان يمكن البكاء، كما لدى سماع أغنية من أغاني نانيوا[1]
وعندما كان ينتهي من إنشاد المقطع: «فضع اللوح على ظهرك» علّقت أو رن مستحسنة:

ـ أوه! رائع!

وبعد ثلاثة أيام، ارتفع، في الليل، وقع خطى لأناس كثيرين مرّوا أمام بيت أو رن باتجاه الجبل الذي وراء القرية. وفي الغداة علم سكان القرية أن عائلة بيت المطر كلها قد اختفت من المكان.

ـ لن يعود لهم ذكر من اليوم فصاعداً.

كان ذلك ما اتُّفِقَ عليه في القرية ولم ينبس أحدٌ بكلمة بعد ذلك.

في الشهر الثاني عشر، كان الشتاء قاسياً. وبما أنّ الأمر يتعلق

---

(١) التكرار من المؤلف.

(١) نوع من الأغاني الميلودرامية.

بالتقويم القمري، فإن الدخول في البرد يبدأ في أواسط ذلك الشهر.
وجاء الوقت الذي يهيج فيه الأطفال صائحين:
ــ بدأت بامبا الثلج ترقص.

فقالت أو رن بزهو:
ــ من المحتمل أن تثلج عندما أذهب إلى الجبل!

وبامبا الثلج هي حشرات صغيرة بيضاء ترقص. ويقال إن تلك الحشرات تذهب وتجيء راقصة قبل سقوط الثلج.

أمّا بطن ماتسو-يان فكان لايترك مجالاً للشك بأن وقت الولادة قد اقترب. وصارت حركاتها وتنفسها تجلب الإنتباه.

قبل حلول العام الجديد بأربعة أيام، انتظرت أو رن تابي حتىّ استيقظ ثم جرّته إلى خارج البيت. ثم قالت له وفمها ملتصق بأذنه:
ــ سأدعو هذا المساء كلّ الذين ذهبوا إلى الجبل. اِذهبْ لتعلمهم جميعاً.

قرّرت أو رن الذهاب إلى حج ناراياما في الغداة. لذلك أرادت أن تدعو الليلة أولئك الذين سبق لهم أن ذهبوا إلى الجبل، وتقدم لهم «سايك» المأدبة.
ــ أظن أن الوقت لم يحن بعد. عليك أن تذهبي عندما يبدأ العام الجديد.

وعندما أكدت له بأنها ستذهب غداً، ارتبك تابي. كان يفكر بأنها ستذهب عند بلوغ السنة الجديدة.

أو رن:
ــ هُراء! حتى وإن لم يحن الوقت... فالتبكير أفضل. على كلّ حال ينبغي أن يتمّ ذلك قبل ولادة الدّرص...
كان تابي قليل الحماس فلم يجُبْ. أو رن:

ــ أسرعْ لتخبر الجميع. سوف يذهبون إلى الجبل. ويتغيّبون.
هذه الطريقة في الكلام جعلت تابي يطيع بدقة.
قالت له وهو يخرج:
ــ هل فهمت؟ إذا لم تخبرهم، فسوف أذهب وحدي غداً إلى الجبل!

في ذلك المساء اجتمع المدعوون في بيت أو رن. وفي العادة يُوزّع ليلة الذهاب إلى الجبل سايك الوليمة، لكن المدعوين ينحصرون تحديداً في الناس الذين سبق وأن زاروا الجبل. وهؤلاء يقدمون، أثناء تناولهم السايك، تعاليم حول الأشياء الضرورية من أجل الذهاب إلى الجبل: يقدمون توضيحات ويشرفون على أداء اليمين. وتقديم التعاليم يخضع لطريقة تشبه القانون، ويقدم كل شخص بدوره أحد التعاليم. إجتمع في البيت سبعة رجال وامرأة. والمرأة كانت قد رافقت أحد الحجاج في العام الماضي، وهذا شيء نادر. فالعائلات التي لاتجد مرافقا تضطر إلى طلب شخص من خارجها. وعندما تجده يكون عادة من الرجال. أمّا أوّل من زار الجبل، بين المدعوين إلى سايك الوليمة، فيدعى «أقدم الحجاج» وحقه في الكلام هو الأقوى.

كان يلعب ما يشبه دور القائد ويهتم بكلّ شيء من أجل الجميع.

ولشرب السايك أيضاً، يبدأ هو أولاً، ثم يليه الآخرون حسب أقدميتهم في زيارة الجبل. أما ضيف الليلة الذي يقوم بدور أقدم الحجّاج فهو رجل يُدعى «تيرو-يان الغضوب». ولم يكن تيرو-يان نزقاً ــ بل هو شخص هادئ تماماً، في الخمسين من عمره ــ لكن قبل عدّة أجيال، كان يوجد في عائلة تيرو-يان شخص نزق، سريع الغضب. ولذلك ظل حتى الآن يدعى «الغضوب». وليس ذلك اسمًا مستعاراً بل إنه أمسى مثل اللقب العائلي.

ورغم أن أو رن وتابي هما من أهل البيت، فقد كانا يتصدّران المجلس وأمامها الضيوف، في القسم المنخفض من الغرفة. كانت أمام أو رن وتابي جرّة كبيرة، وهي الجرّة التي تحوي حوالي «تو» من دوبوروكو السيد الحاجي الأبيض الذي خمّرته أو رن من أجل هذه الليلة.

عدّل تيرو-يان، الملتفت نحو أُو رن وتابي، جلسته أولاً، ثم ألقى السلام. إثر ذلك، وبعده مباشرة، حنى المدعوون الآخرون رؤوسهم معاً.

تيرو-يان مخاطباً تابي:
ـ حجّ الجبل شاق. نحن في غاية الإمتنان لجُهدك.

يتوجب على أو رن وتابي أن يلزما مكانيْهما، من دون قول أيّ شيء.

وعندما انتهى تيرو-يان من كلامه، تناول الجرة وأدناها من فمه ثم شرب قدر ما استطاع في جرعات طويلة. ثم قدّم الجرة إلى التالي وهذا الأخير شرب قدر مستطاعه. ثم قدمها بدوره إلى الذي يليه. وعندما وصلت الجرة إلى الأخير وُضعتْ من جديد أمام تيرو-يان.

خاطب تيرو-يان أو رن بنبرة صوت يُشبه صوت من يقرأ كتاباً:
ـ نحسب أنك سوف تحترمين قواعد حج الجبل، بلا أخطاء.
«إحداها: عندما تذهب إلى الجبل، لاتتكلم.»

وعندما انتهى من قول ذلك رفع الجرة إلى فمة وشرب جرعات طويلة، ثم ناولها للتالي.

كانت أو رن وتابي يعرفان التعاليم التي كان الضيوف يقومون بتعليمها لهما. وهي أشياء عرفاها من الأحاديث اليومية، لكن العادة

جرت بسماعها هكذا بطريقة احتفالية، ونظراً لكون الأمر يتعلق بأداء اليمين أمام الضيوف فقد كانا يُنصتان باهتمام شديد.

بعد أن دارت الجرة مرّة أخرى، وُضعتْ أمام الشخص الذي يلي تيرو-يان. وبالنبْرة نفسها التي استخدمها تيرو-يان منذ قليل، قال الثاني:

- نحسب أنك سوف تحترمين قواعد حج الجبل، بلا أخطاء.
إحداها: «عندما تخرج من البيت، أخرجْ بحيث لايراك أحد.»

عندما انتهى من الكلام، رفع الجرّة إلى فمه وشرب جرعات طويلة. وبعد أن دارت الجرة، وُضعت أمام الثالث.

وهذا الأخير بدوره، وبنبرة تيرو-يان نفسها منذ قليل:

- نحسب أنك سوف تحترمين قواعد حجّ الجبل، بلا أخطاء.
إحداها: «عندما تحين ساعة الرجوع من الجبل، لاتلتفت إلى الخلف في أي حال من الأحوال.»

وعندما انتهى من الكلام، رفع الجرة إلى فمه وشرب جرعات طويلة. وبعد أن دارت الجرة، وُضعتْ أمام رابع المدعوين. كان احتفال اليمين قد انتهى مع الثالث، لكن الرابع دلّ على الطريق الذي ينبغي سلوكه للذهاب إلى نارایاما:

«فيما يتعلق بالطريق إلى نارایاما، هوذا: نلفّ حول سفح الجبل الخلفي، وبعد المرور تحت حيثيراجي[1] الجبل التالي نلف حول سفحه أيضاً. ثم نمر متسلقين منحدر الجبل الثالث وبعده نجد مستنقعاً. نلف ثلاث مرات على طول المستنقعات وعبر درجات من حجر نصعد إلى الجبل الرابع. عندما نبلغ ذروة هذا الأخير، يلوح من الجهة الثانية للوادي: السيد نارایاما. نتقدم والوادي إلى اليمين والجبل التالي

(١) اسم شجرة حرجيّة تشبه الزيتونة.

على اليسار. ومن أجل الالتفاف حـول الوادي ينبغي السـير أربعة فـراسخ ونصف الفـرسخ. وأثنـاء المسير يلوح درب متعـرّج سبعـة تعرجات. هذا المكان يدعى «الوديان السبعة». بعد اجتياز الوديان السبعة، يلوح، رأساً، طريق نارايام. وفي نارايام مهما كان ثمّة درب فليس يوجد درب. نصعد وسط أشجار السنديان، أعلى، ثم أعلى، وهناك، ينتظركم الإله.»

عندما فرغ من الكلام، دارت الجرة وأُنجز كل شيء. بعد أن ينتهي تقديم التعاليم لاينبغي على أحد أن يقول أي شيء. لهذا، ما عدا الأربعة الذين تلوا التعاليم، لايستطيع أحد أن يضيف شيئاً. وفيما بعد، ومن دون النطق بـأية كلمـة، دارت الجرة وتَمّ إنهاءُ شـرب السايك، انسحب كلّ واحد، بعـد أن شرب ما استطاع، في صمت وكأنه ينخسف. وبقي تيرو-يان الذي يتوجب عليه أن يكون آخر من يخرج. وعندما ذهب الجميع قام تيرو-يان بدوره من مقعده منادياً تابي بإشارة من يده، مرافقا إياه خارج البيت.

وبصوت هامس قال:

ـ ولكن قل لي! إذا كان ذلك لايعجبك فلا حاجة بك للذهاب إلى الجبل. وحتى إذا عدت من الوديان السبعة فلا بأس!

بعد ذلك . ورغم عدم وجود أي شخص، تفحص العتمة من جميع الجهات وقد بدا خائفاً.

«ما أغرب ما قاله» فكّر تابي. لكن بما أن أو رن تريد إتمام ذلك من كلّ قلبهـا فإنّه لم يتعلق بمثل هذه الحماقة، وطردها من ذهنه.

عندئذ قال تيرو-يان:

ـ أوه، هذا، أيضاً، شيء ي تعليمه دون أن يسمع به أحد. إذا قلته لك، لمجرد قوله...

وانسحب بعد ذلك.





بعد أن غادر الجميع، التحق كلّ من أو رن وتابي بفراشيهما. لكن أو رن لم تكن لتنام، لأنها ستذهب مساء الغد إلى الجبل.

في ساعة متأخّرة من الليل، وقد تكون الثالثة صباحاً، سمعت أو رن شخصاً ما يتأوه في الخارج. كان ذلك صوت رجل يتألم. اقترب الصوت أكثر فأكثر حتى وصل أمام بيت أو رن.

عندئذ، وكما لو كان ذلك لتغطية الصوت المتأوّه، ارتفعت أغنية هدهدة الأطرش:

ستة جذور، ستة جذور، يا ستة جذور
المرافقة تبدو سهلة وهي ليست كذلك أبداً
على الكتفين يكون الحمل ثقيلا وشاقا
آه! لنطهّر الجذور الستة، لنطهّر الجذور الستة

رفعت أو رن رأسها خارج اللحاف وأرهفت سمعها. فأدركت أن ذلك الصوت النائح هو صوت ماتا ـ يان بيت الفلس.

«الأحمق!» فكّرت مرّة أخرى. وبعد قليل خيّل إليها أن أقداماً تقترب. ثم سمعت صوت أظافر تكشط باب البيت.

«ماذا عساه يكون؟»

نهضت وخرجت إلى الشرفة. فتحت مصراعاً من الناحية التي كان يُسمع فيها صوت الأظافر. في الخارج كان القمر مضيئاً. وكان ماتا ـ يان هناك، مقرفصاً، مخبّأ الوجه، وهو يرجف بكل جسده.

في هذه اللحظة وصل أحدهم كالإعصار. كان ذاك ابن ماتا ـ يان. وكان يحمل بيده حبلاً من قش وينظر بقسوة إلى ماتا ـ يان.

نادت أو رن:

ـ تابي ! تابي!

فما كان من تابي، الذي لم يبدُ عليه أنه كان نائمًا، بدوره، إلاّ

أن خرج فوراً. توجّه نحو ابن بيت الفلس ورأى الحبل الذي بيد الأخير.

ـ ماذا يحدث إذن؟ سأل

ـ قطع الحبل بأسنانه وهرب!

كان الإبن لايزال يرشق ماتا ـ يان بنظرة عدائية.

«الأحمق!» فكّر تابي، مرتاعاً من قسوة ابن بيت الفلس.
«الأحمق!» فكّرت أو رن التي كانت تتأمل ماتا ـ يان في ذهول.

تقول أغنية معروفة منذ القدم:

خاضعاً كما هو لهدهدة الأطرش
انقطع الحبل، كذلك انقطعت الصلة[1]

«رغم وجود مثل هذه الأغنية، فإنّ هذا الوضع حيث يهذْهَدُ المرء إلى حدّ انقطاع الحبل، ويكون، فضلا عن ذلك، قد قطعه بأسنانه، كل ذلك يتجاوز ما تقوله الأغنية» فكرت أو رن. وبلهجة توبيخ، أنذرت ماتا ـ يان:

ـ لاعذر لك ياماتا ـ يان في التوصل إلى هدهدة الأطرش! إذا انقطعت الصلة، وأنت لاتزال في هذا العالم، بالسيد إله الجبل وكذلك بابنك، ففي أي وضع ستجد نفسك!

علِمتْ أو رن بسلامة طوية ما كانت تظنّه حقاً.

---

(١) «الصلة»، ككلمة في المصطلح البوذي، تشير، بحصر المعنى، إلى العلاقة المبنية على الأفعال السابقة، والتي تربط كائنين أحدهما بالآخر. أمّا هنا فهي مستخدمة بمعنى الإلتزامات المتبادلة. إنّ ماتا ـ يان لعدم إلتزامه بالسلوك الذي ينتظره منه ابنه وكذلك إله الجبل، سيقطع الصّلات التي تربطه بهما. وهو بذلك يجازف بالخروج على كل القواعد فيلفظه غضب الإله والجماعة التي لايوجد خارجها أيّ خلاص.

ـ يكفي إذنْ، لهذه الليلة! قال تابي للإبن، ثم حمل ماتاـيان على ظهره ونقله إلى بيت الفلس.

في الليلة التالية حثّت أو رن عزيمة تابي بعناد شديد، وتحدّثت عن طريق الحج إلى نارایاما. وأثناء السهرة غسلت السيد الحاجي الأبيض الذي سيأكله الجميع غداً وأوضحت لتاماـيان كلّ ما يتعلق بالفطر وسمك الترويت. وبعد أن تأكدت من نوم الجميع في البيت، فتحت مصراع الشرفة الخلفية بلا ضجة. ومن هناك صعدت فوق لوح كان تابي يحمله معلقاً على ظهره. لم تكن الريح تهب في تلك الليلة لكن الطقس كان بارداً. ولم يكن القمر مضيئاً أيضاً. أخذ تابي يسير خبط عشواء في الدرب المظلم. وما إن خرجت أو رن وتابي حتىّ نهضت تاماـيان من تحت لحافها. فتحت المصراع وخرجت. تابعتهما بالنظر سابرة أغوار الظلمة، وإحدى يديها مستندة على الأرومة.

دَار تابي حول سفح الجبل الخلفي وبلغ شجرة الحيئيراجي. كانت الأغصان منتفشة مثل مظلة. وعندمامرّ تحتها كان الظلام مخيفاً كما في بيت مظلم. حتىّ الآن كان تابي قد جاء إلى هذه الأماكن، لكن بعدها كان يوجد طريق يمُنع عبوره تقليديّاً إذا لم يكن ذلك لحجّ نارایاما. وكان الجميع يتحاشون المرور تحت الحيئيراجي ويسلكون درباً يتعرّج إمّا إلى اليمين وإمّا إلى اليسار. لكنه اليوم سار رأساً. دار حول سفح الجبل الثاني أيضاً، ثم الجبل الثالث، فوجد المستنقع. صارت السماء بيضاء بغير وضوح، ولما انتهى من الإلتفاف حول المستنقعات صارت السماء صافية وعمّ الضوء المكان. وجد درجات الحجارة الثلاث وبعدها لاح منحدرٌ هاوٍ. تسلق الجبل الرابع حتى ذروته. كان الجبل مرتفعا جداً، وعند الإقتراب من الذروة، صار شديد الإنحدار.

وعندما بلغ تابي القمة، جال ببصره. لاح له نارایاما قُبُلاً وكأنه كان ينتظر. وكان يفصل بين الجبل الذي بلغه وبين نارایاما وادٍ يجعل

المرء يتساءل عما إذا كان ينحدر حتى الجحيم. وللذهاب إلى نارايياما ينبغي النزول من القمة ببطء والسير في درب يشبه ممراً في ذروة جبل. على اليمين توجد هوّة؛ وعلى اليسار منحدر جبل يرتفع عمودياً. ولّما كان الوادي محاطاً بأربعة جبال، وعميقاً كقعر الجحيم، تقدم تابي وهو يطأ الدرب بحذر ورباطة جأش. لقد علموه بأن هناك فرسخين ونصفاً ينبغي قطعهما بالإلتفاف مع الوادي. لكنّه، وهو يقترب من نارايياما، لم يكن لينتبه إلاّ لخطواته. وما إن رأى نارايياما حتىّ صار مثل خادم الاله الورع الذي يمكث هناك، وكان يسير مفكّراً بأنه إنمّا يمشي بأمر من الإله. وهكذا بلغ مكان الأودية السبعة. رفع رأسه: نارايياما، أمام عينيه، يبدو وكأنه جالس. وبما أنهم قالوا له: بعد اجتياز الوديان السبعة ، مهما كان هناك درب، فإنه لايوجد درب ، فقد أخذ يصعد إلى أعلى ، ودائماً إلى أعلى. أما بخصوص الأشجار فلم يكن يوجد سوى السنديان[١] وعندما فكر تابي بأنه وصل أخيراً إلى نارايياما، قرّر بأنه لم يعد ثمّة مجال للكلام. أمّا أو رن فإنها لم تنبس بكلمة منذ مغادرة البيت. وأثناء السير، كان تابي قد بدأ يحادثها لكنها لم تجُبْه قط. عبثاً صعد، ثم صعد، لاوجود إلاّ لشجر السنديان. وهكذا إلى أن بلغ موضعاً خاله القمّة. تجاوز صخرة كبيرة كانت توجد هناك، ها إن أحدهم تحت تلك الصخرة. ارتعد تابي وتراجع لا إرادياً. كان الرجل المستند إلى الصخرة وجسده متقلص، ميتاً. قبضتاه مشدودتان ويبدو كأنه يضم يديه. تسمّر تابي في مكانه غير قادر على التقدّم. مدّت أو رن يدها، من وراء ظهره، وحركتها نحو الأمام. كانت تلك إشارة لتقول له: «تقدّمْ! » تقدّمَ تابي. ومن جديد، هاهي ذي صخرة، وتحتها، عظام مبيّضة. الساقان موجودتان، لكن الرأس كان مقلوباً، إذْ أنه تدحرج جانباً، على الأرض. ظلت عظام الجانبين وحدها مستندة إلى الصخرة مثل الجثة السابقة. أمّا

---

(١) لنذكر بأن اسم نارايياما نفسه يعني «جبل السنديان».

الذراعان فقد سقطتا بعيداً عن الجسد، وكل ذراع بعيدة عن الأخرى. كانت الجثة مبعثرة بحيث يمكن أن يتساءل المرء عما إذا كان أحدهم قد وضعها هكذا من باب المزاح. مدّت أو رن يدها وحرّكتها لتقول: «تقدّمْ، تقدّمْ!» من المؤكد أن ثمة جثة قرب كلّ صخرة. لكن أبعد من ذلك بقليل كانت توجد جثة تحت جذع شجرة، هذه المرّة. وكانت لميت حديث العهد، يبدو وكأنه مازال حياً. عندئذٍ ارتعد تابي من جديد وعجز عن التقدّم. ذلك أن الجثة التي أمامه قد تحرّكت. تفحّص جيداً، تفحص الوجه جيداً: لامجال للشك، هذا الشخص ليس حيّاً. «مع ذلك، فكر تابي، من المؤكد أنه كان قد تحرك!» وأحسّ بساقيه تتصلبان. عندئذ تحركت الجثة. لقد تحركت من جهة الصدر. كان هناك غراب. ولّما كان لون اللباس داكناً فإن تابي لم ينتبه إلى وجود الغراب. ضرب بقدمه على الأرض في قوة لكن الغراب لم يهرب. تقدم تابي جانبياً. عندئذ طار الغراب. بسط جناحيه بهدوء وطار. إنه غراب ذو هدوء مقيت. إلتفت تابي صدفةً نحو الجثة. ها إن غراباً آخر على صدرها. «كان يوجد إثنان إذنْ؟» تساءل. عندئذٍ تحرك تحت ذلك الغراب رأسُ غراب آخر. «هذه الجثة تمدّ ساقيها (كرجل يستريح) لكن الغربان مزّقت بطنها واتخذت منه عشاً لها». فكّر. وعندما فكر بأنه ربمّا وُجد منها الكثير، تملّكه شعور بالحقد والرعب. كان المكان يبدو وكأنّه ذروة الجبل. لكن الدرب كان لايزال يصعد. وكلما صعد، ازداد عدد الغربان. وعندما يتقدم تابي خطوة، كانت الغربان تشرع في المشي بلا مبالاة، كما لو كانت الأرض تتحرك حوله كانت تمشي في صرير على الأوراق اليابسة، محدثة وقْعاً يشبه وقع خطى لبشر يمشون.

ـ ما أكثر الغربان في الجبل!

كان مرتاعاً لعددها. ولم تبدُ له الغربان مجرّد طيور. كانت لها تعابير عيون قطط سوداء وحركات لامبالية تسبّب الضيق. ازداد عدد

الجثث المتمددة. وبعد تقدّمه قليلاً اكتشف مكاناً يشبه جبلاً أقرع، حيث لاتوجد سوى صخور. وهناك، كانت العظام المبيضّة كالثلج المتراكم، وكانت منتشرة على الأرض بحيث غدت أطرافها بيضاء. كان تابي يسير ولاينظر إلاّ تحته، محاولاً تفادي العظام، لكن عينيه اضطربتا، وكاد يترنح ويقع. فكّر: «لاشك أن بين هذه العظام المبيضّة أناساً عرفتهم عندما كانوا أحياء». صدفةً، تدحرجت قصعة خشبية فرآها. عندئذ توقف متحجّراً من الدهشة.

ـ هذا أمر جدير بالعناية!

ظلّ مفتوناً تماماً. هناك إنسان أتى بقصعة وهو يأتي إلى هنا! وعندما فكّر بأن من بين الذين جاؤوا سابقاً كان يوجد أشخاص على تلك الدرجة من التبصّر، أحسّ بنوع من الحزن، وهو الذي لم يأت بقصعة، كانت ثمة غربان تتدحرج فوق صخرة وعيونها مذهولة، إلتقط تابي حجراً ورماها به، فرررر! طارت في لمحة بصر. وطارت تلك التي كانت قربه في الوقت نفسه.

ـ طريقة هروبها لاتوحي بأنها تجرؤ على مهاجمة إنسان حيّ.

وعندما أدرك ذلك تنفس الصعداء. كان الدرب لايزال يصعد قليلاً، وبعد خطوات كانت ثمة صخرة لاتستند عليها جثة، ولّما بلغها تابي، ضربت أو رن على كتفه وحرّكت ساقيها. وكان ذلك يعني أنها تطلب منه أن ينزلها من على اللوح المعلق إلى ظهره، حيث كانت تجلس. فأنزلها تابي. وما إن نزلت حتىّ فرشت في ظل الصخرة، حصير القصب، الذي كانت قد لفّت به خاصرتها. ثم أرادت أن تعلق صُرّة صغيرة، كانت مربوطة إلى خصرها، في اللّوح الذي كان تابي يحمله على ظهره. حملق تابي، ثم وضع الصرّة فوق البورية غاضباً. تناولت أو رن من الصرة كرةً من السيد الحاجي الأبيض ووضعتها على الحصير. ثم حاولت من جديد أن تعلق الصرّة على

اللّوح الذي يحمله تابي على ظهره. ابتعد تابي ساحباً اللوح معه وأعاد وضْع الصرة فوق الحصير.

وقفت أو رن منتصبة فوق الحصير. قبضتْ يديها وضمتهما إلى صدرها مُبْعدةً مرفقيها أحدهما إلى يمين جسدها والثاني إلى يساره، ونظرها ثابت على الأرض بإصرار. أغلقت فمها، فبدا وجهها بلا حراك. وكانت قد تزنّرت بحبل. تأمّل تابي في وجه تلك الأو رن التي كان جسمها لايُبدي أدنى حركة. خيل إليه أنّ وجه أو رن قد اتّخذ تعبيراً آخر يختلف عن تعبير وجهها ّلما كانت في البيت. لقد بدأت تظهر على وجهها علامات إمرأة تموت.

مدّت أو رن يديها وأمسكت بيديْ تابي. ثم جعلته يلتفت إلى الاتجاه الذي جاءا منه. صار جسد تـابـي ملتهباً كما لو أنه دخل حمام ماءٍ حارٍّ، تلألأت عليه قطرات عرق كبيرة. واندفع بخار من رأسه.

ضغطت يدا أو رن بقوة على يديْ تابي. ثم دفعته من ظهره بشدّة.

أخذ تابي يمشي، محترماً عهد ذلك الجبل الذي يُمنع فيه الإلتفات إلى الوراء.

وبعد عشر خطوات، رفع تابي اللوح الذي ما عادت أورن تجلس عليه، نحو السماء وأخذ يبكي بدموعٍ حرّى، ثم عاد إلى النزول مترنّحاً كرجل سكران. وبعد هبوطه قليلاً تعثر بجثة وتدحرج. وقعت يده على وجه جثة أخرى حيث كانت تلوح عظام رمادية اللون في فراغ اللحم المنزوع. وعندما همّ بالوقوف نظر إلى وجه تلك الجثة فتبينّ أنّ حبلاً كان يلتف حول عنقها الهزيل. وإثر ذلك المشهد، طأطأ تابي رأسه. «ما كنتُ لأبلغ تلك الشجاعة» دمدم قائلاً. عاد إلى نزول الجبل. وكان قد بلغ منتصف نارایاما عندما انعكس شيء مـا في

عينيه. توقف ونظر أمامه. وسط أشجار السنديان غبار أبيض يتراقص. إنّه ثلج.

ــ آه. !

تعجّب تابي. نظر إلى الثلج بلهفة. بدأ الثلج يُزَوْبع وينزل أشد كثافة. ها قد حدث ما أعلنت عنه أو رن بفخر:

«عندما أذهب إلى الجبل، لاشك أنها سوف تثلج!»

استدار تابي بإصرار وعاد إلى صعود الجبل. وهكذا تبخّر اليمين المتعلّق باحترام قوانين الجبل، في الريح. أراد تابــي أن يخُبر أو رن بأن الثلج قد بدأ يتساقط. بل إنه بدل إخبارها بذلك، كان يريد التحدّث معها عنه: «لقد بدأ الثلج يتساقط! حقا، الثلج يتساقط!» كان يرغب في أن يقول لها هذه الكلمات فقط. وتسلق تابي مثل قرد درب الجبل المحظور.

وعندما بلغ الصخرة التي توجد فيها أو رن، كان الثلج قد غطى الأرض تماماً بطبقة بيضاء. اختبأ وراء صخرة وأخذ يتفحص هيئة أو رن. لم تُرْضِهِ عودته على أعقابه ونقضه لعهد الحجّ إلى الجبل، وها هو يتهيأ لنقض العهد الذي لاينبغي بمقتضاه النطق بأية كلمة. كان ذلك يشبه ارتكاب جريمة تمـاماً. ولكن، كـما سبق وأن قالت بالضبط: «لاشك أنها سوف تثلج!»، ها إنها تثلج! هذا ما كان يريد قوله ــ تكفي كلمة واحدة.

أخرج تابي رأسه من وراء الصخرة بهدوء. وهناك، أمام عينيه، كانت أو رن جالسة. وقد احتمت من الثلج بتغطية رأسها من الخلف بالحصير، لكن الثلج تراكم على القسم الأمـامي من شعرهـا وعلى صدرها وركبتيها: كانت تبدو وكأنها ثعلب أبيض. عيناها ثابتتان في نقطة محدّدة وهي تتلو صلاة عبادة بوذا.

تابي بصوت قوي:

ــ ماما... إنها تثلج!

أخرجت أو رن إحدى يديها بهدوء وحركتها باتجاه تابي، وكأنها تقول: «ارجع! ارجع!»

ــ امّي، ستبردين!

حركت أو رن رأسها عدّة مرات جانبياً. وفي تلك اللحظة تبينّ تابي أنه لاوجود لأي غراب. لاشك أن الغربان قد طارت باتجاه بعض القرى بسبب الثلج، أو لعلّها عادت إلى أعشاشها. حدّث نفسه. إنـه لشيء جميل أن تثلج! ثم إن البرد هو أخفّ في موقع الثلوج منه في المكان المعرّض لريح الجبل القارسة. وهكذا سوف تنام أمي.

ــ ماما، إنها تثلج، حظك سعيد!

وتابع مردّداً كلمات الأغنية:

يوم ذهابها إلى الجبل...

كانت أورن تبدي رضاها بتحريك رأسها من أسفل إلى أعلى، وهي تمدّ يدها في الاتجاه الذي كان يأتي منه صوت تابي وتحـركها لتقول: «اِرجع! اِرجع».

ــ ماما، إنها تمطر حقّاً! صاح ثم نزل الجبل راكضاً مثل أرنب برّي أفلت فجأة. وخوفاً من فكرة أن يكون أحدهم قد علم بانتهاكه لقواعد الجبل، أخذ ينزل قافزاً. وعندما بلغ موضعاً يقع فوق الوديان السبعة، وحيث من المعتاد ألاّ يكون هناك أحد، لمح ابن بيت الفلس وسط الثلوج وهو يحاول التخلّص من اللوح المعلّق إلى ظهره. وعلى اللوح كان يستقر ماتا ـ يان وهو موثق بحبل من قش مثل مجرم.

ــ الدنيء!

خرجت الكلمة تلقائياً من فم تابي الذي توقف فوراً. ذلك ان ابن بيت الفلس كان يتهيأ لقذف ماتا ـ يان من فوق الوديان السبعة.

كان يوشك على رميه في وادٍ تحيط به أربعة جبال، ولايسبر له غور. كان تابي يرى ذلك بعينيه.

««سيدحرجه إلى أسفل» أدرك قائلاً. عندئذ تذكر أن تيرو ـ يان في الليلة السابقة قال: «إذا كان ذلك لايعجبك، فلا بأس إذا عدت من الوديان السبعة»

ـــ هه! هذا ما كان يعلّمه إذَنْ!

وفهم لأوّل مرّة. بالأمس هرب ماتا ـ يان، لكنه اليوم مقيد من رأسه إلى قدميه. مثل كيس بطاطا، وبطريقة ليست لكـائن حيّ، تدحرج على الأرض. دفعه ابنه بيده وتهيّأ لرميه. لكن ماتـا ـ يان، بأصابع وَجَدَتْ قليلا من الحريـة وسط الحبال، تعلق بطوق ابنه وتشبث به. حاول الابن أن يتخلّص من قبضة تلك الأصابع. لكن أصابع يد ماتا ـ يان الأخرى تشبّثت بكتفه. بدأت ساقا الشيخ تتدليان بطريقة مقلقة فوق الوادي. ومن المكان الذي يوجد فيه تابي، كان ماتا ـ يان وابنه يلوحان وهما يخوضان معركة يظنها المرء لعبة. عندئذ رفع الابن ساقه و. . . طق! بركلة في بطن ماتا ـ يان جعلته يتدحرج. هوى ماتا ـ يان مقلوباً، ورأسه نحو الوادي، استدار حول نفسه مرتين مثل كرة، وما لبث أن سقط جانباً، وتدحرج على منحدر شديـد ليقضي في الأسفل. وعندما حاول تابي أن يلمح قاع الوادي، ارتفع منه سرب غربان محوّمة، مثل عمود ماء مدوّم، مثل دخان أسود كثيف يرتفع في كُتَلٍ ضخمة. ومثل فوران البخار ارتفعت محوّمة.

ـــ غربان!

وأحس تابي بضيق كما لو كان جسمه يضيق. حوّمت الغربان في جلبة غاق، غاق، وارتفعت راسمة دوائر عاليـة فوق رأس تـابي. «لاشك أن أعشاشها في مكان ما من هذا الوادي وقد جعلها الثلج تلجأ اليها. وربّما كان ماتا ـ يان قد سقط داخلها» فكّر.





بدأت الغربان المرفرفة في كل اتجاه تعود فتنزل شيئاً فشيئاً إلى قاع الوادي.

ــ فريسة الغربان!

تملّكتْه رجفة من كثرة عدد الغربان. «لكنه بلغ القعر ميتاً بلا شك» فكّر تابي ثم نظر باتجاه الابن، لاشك أن الأخير كان متضايقاً بدوره بعد رؤية الغربان. ها هو ذا يعيد ربط اللوح الفارغ إلى ظهره ويبدأ بالركض، وكأنّه يشق الهواء.

«عندما يُقْدِمُ المرء على مثل هذا الصنيع، فليس من المستغرب ألّا يُقدِّمَ سايك المأدبة»، فكر تابي ثم نظر طويلا إلى الابن الذي كان يهرب منحني الظهـر مثل ذئب يركض.

صار الثلج كثيفاً وكأنه يتساقط ندفاً. وعندما اقترب تابي من القرية، كانت الشمـس قد غربت، وخيّم الليل.

«من المؤكد أنني عندما أصل إلى البيت سأجد الصغرى حزينة لغياب أو رن». فكّر. واذا سُئل:

ــ متى تعود جدتي؟

بماذا عساه يجيب؟ كان مرتبكاً تماماً. وصل أمام البيت لكنه ظل واقفاً خارج الباب، يرى ما يحدث في الداخل.

في البيت، كان ثاني الأبناء يسليّ الطفلة الصغرى منشداً لها أغنية:

في الجبل الخلفي سنهجر العجوز
لكن من الخلف سوف يعود سلطعونٌ زاحفاً

في غياب أو رن كان الأطفال يتحدثون عنها. «لقد كانوا على عِلْمٍ إذنْ!» حدَّث نفسه. كانوا يردّدون ويعيدون أغنية السلطعون:

وعندما عاد زاحفاً لم ندَعْهُ يجتاز العتبة
فالسلطعون ليس طائراً يبكي مع مجيء الليل
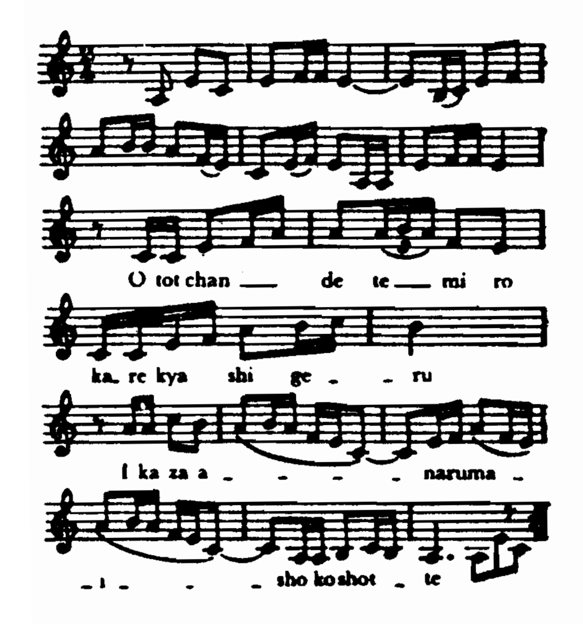
في موضوع هذه الأغنية: قديماً في القرية كان الناس يأخذون الشيوخ والعجائز ليهجروهم في الجبل الخلفي. وذات يوم هجروا عجوزاً، فعادت زاحفة حتىّ البيت. عندئذ صرخ أصحاب البيت: «لقد جاءت زاحفةً، لقد جاءت زاحفة، مثل سلطعون!» ثم أرتجوا الباب ورفضوا إدخالها. وتوهّمَ أحد الأطفال الصغار في البيت أنّ سلطعوناً، قد جاء حقّاً، زاحفاً حتىّ هناك. ومكثت العجوز تبكي طول الليل أمام الباب. وعندما سمع الطفل صوتها وهي تبكي، قال: «السلطعون يبكي.» وفكر سكان البيت بأن الطفل لن يفهم إذا ما فسّروا له الأمر، فقالوا له: «هذا ليس سلطعوناً. السلطعون لايبكي في الليل. هذا طائر يصيح.» وهكذا خدعوه. وأغنية السلطعون تنشد هذه القصة.

كان تابي واقفاً عند المدخل يسمع أغنية السلطعون. وفكّر بأنهم ما داموا لايغنّون إلاّ هذه الأغنية فإنهم يعلمون جيداً بأن أو رن لن تعود أبداً، وأحس بالعزاء لذلك. تخلّص من اللوح الذي كان يحمله معلّقاً إلى ظهره ونفض الثلج الذي تساقط عليه أثناء السير. وأثناء تأهّبه لفتح الباب، خرجت ماتسو-يان من الغرفة. كان الزُنّار الذي تتمنطق به حول بطنها المنتفخ هو الزنار الرقيق والمخطط نفسه الذي كانت أو رن تتزنّر به حتىّ أمس. وفي داخل الغرفة الضيقة التي فتحت ماتسو-يان بابها ثم خرجت، كان كيزا كيتشي يجلس متربعاً على الأرض بلا مبالاة، وقد ارتدى كمئزر، ذلك الثوب المبطّن بالقطن الذي طوته أو رن البارحة بعناية. كانت توجد بقربه جرّة وهو يبدو سكران بعد أن شرب بقايا الليلة السابقة. نظراته متلاشية، ورأسه مائل في هيئة راضية وهو يكرر متعجّباً:
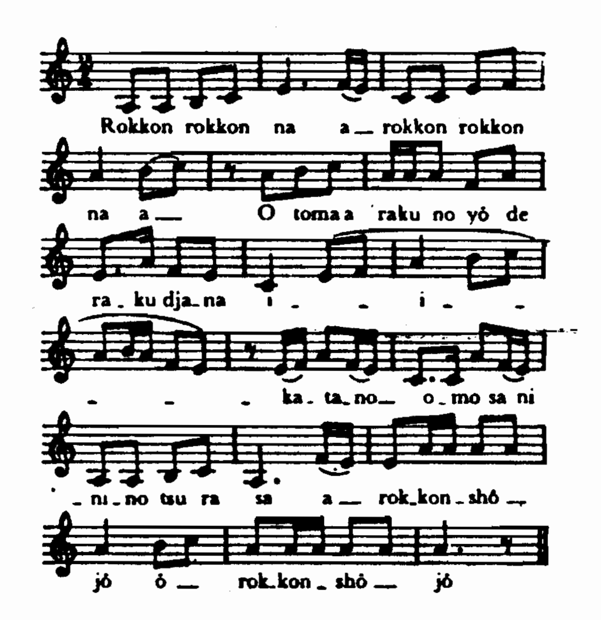
– حظها سعيد. لقد أثلجت، حظّها سعيد، جدتي... حقّاً لقد أثلجت.

بحث تابي، وكان لايزال واقفاً عند المدخل، عن تاما-يان لكنه لم يلمحها في أيّ مكانٍ. تنّهد طويلاً، ثم فكّر بأن أو رن، إذا كانت لاتزال حيّة تحت تلك الصخرة، هناك، فهي تفكّر من دون شك في أغنية الثوب المبطّن بالقطن:

مهما كان البرد شديداً
فالثوب المبطن بالقطن
لايمكننا أن نغطّيك به
عندما تذهبين إلى الجبل.



أيها الأب الصّغير اخرج لترى الأشجار اليابسة وهي تنتفش
حان وقت الذهاب فضع اللّوح على ظهرك



ستة جذور ، ستة جذور ، يا ستة جذور
المرافقة تبدو سهلة وهي ليست كذلك أبداً
على الكتفين يكون الحمل ثقيلاً وشاقاً
آه ! لنطهّر الجذور الستة ، لنطهّر الجذور الستة





تأتي أحداث «ناراياما» على شكل مجموعة من الأغاني، يوهمنا الكاتب بأنه لم يقم سوى بجمعها من أجل إعادة منهجية لمجتمع كامل، عبر الإيحاءات التي تتضمنها تلك الأغاني، وهذا ما يفسّر العنوان الأصلي الذي حاول أن يكون علميّاً: دراسة في أغاني ناراياما.

تدور أحداث القصة في مجتمع مغلق تبخل عليه الأرض بالقوت فيلجأ إلى سنّ قوانينه وأخلاقه الخاصة والملائمة لندرة الغذاء. فيبدو المبدأ الأخلاقي قاسياً بل متوحشاً للوهلة الأولى، لكنه يتضمّن أعلى مراتب الفضيلة إلى جانب البشاعة. وتلوح فكرة البوذية الأساسية وهي عقيدة «الكارمان» التي تقول بأن «الأفعال تتبع صاحبها وتصنعه» في مصير شخصيات «ناراياما» وخصوصاً مصير ماتا ـ يان وأُورِنْ: الأول، بأنانيته، والثانية، بتفانيها وإنكار ذاتها. الأول، تلتهمه الطيور السوداء، والثانية، تغطيها الثلوج مثل زهرة لوتس بيضاء في أرض ناراياما المقدسة.

دار التنوير للطباعة والنشر ص . ب : ٦٤٩٩ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان .

دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر ص . ب : ٥٨٠٣٠ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان